

القافلة
صفر ١٤١٦هـ - يوليه ١٩٩٥م
الأمواج .. مزاج البحر المتقلّب

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

AL - QAFILAH

العـدد الثاني - المجلد الرابع والاربعون

July 1995 — ISSN 1319 - 0547 ردمـد — صفر ١٤١٦ هـ

في هذا العدد

مجلة ثقافية تصدر شهرياً عن إدارة العلاقات العامة في شركة ارامكو السعودية لموظفيها، توزع مجاناً

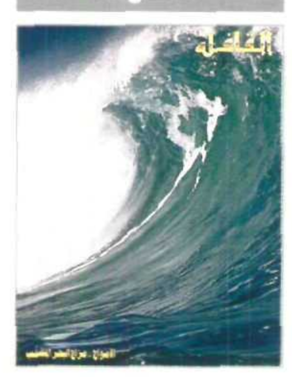
تصميم وطباعة مطابع التريكي - الدمام
Designed and Printed by Altraiki Printing Press, Dammam

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير .
- كل ما ينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولايعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها .
- لا يجوز نشر الموضوعات والصور التي تظهر في القافلة إلا بإذن خطي من هيئة التحرير .
- لا تقبل القافلة إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها .

العنوان

أرامكو السعودية
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف : ٨٧٥٦٣٩٢ - ٨٧٤٠٧٠٦
فاكس : ٨٧٣٣٣٣٦

الغلاف



البعد الثقافي في علاقة الغرب بالإسلام

بقلم الأستاذ: طارق عبد الفتاح شديد - مصر

تصاعد بشكل لافت للنظر في السنوات الأخيرة الجدل حول العلاقة بين الإسلام والغرب، وقد تنامى هذا الجدل لينتج عنه اهتمام كبير على جميع المستويات الحكومية والشعبية حيال ظاهرة الصحوة التي يعيشها العالم الإسلامي، حتى إن العديد من المنتديات الفكرية من مؤتمرات وندوات ومحاضرات نظمت لبحث ودراسة هذه الظاهرة واستشراف آفاقها واتجاهات قواها.

تنامى الجدل في الغرب حول الإسلام وما أحدثته التغيرات المفاجئة في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية، التي ظهر على أنقاضها ما يعرف الآن بالنظام العالمي الجديد، إذ إن الغرب استقبل هذه التغيرات بأحاسيس مختلطة غلبت عليها المفاجأة الممزوجة بالرضا والاغتباط، ولكن حين أفاق من المفاجأة التفت من جديد إلى علاقته بالإسلام والمسلمين، وما يمكن أن تكون عليه أبعاد الصحوة الإسلامية القائمة، لتصل إلينا في النهاية مجموعة من الآراء تضع علاقة الإسلام بالغرب على المحك.

لقد بقيت العلاقة بين الغرب والإسلام اكثر تعقيدا وتشعبا، لكونها تكتسب أبعاداً تاريخية وثقافية وحضارية، ولكون الغرب من خلال هذه الأبعاد نظر إلى العالم الإسلامي دائما على أنه عدوّ فكري لدود، لذا يتم استدعاء التاريخ كلما اثيرت العلاقة بين الإسلام والغرب، والغرض هو تقليب الحسابات المعلقة منذ القدم، التي لم تتمكن حقبة الاستعمار من تصفيتها في وعي الغرب بل زادتها تعقيداً.

ان الإسلام كان - وما يزال - المنطلق الأول والأعمق لظهور الغرب الحضاري، وتماسكه الذاتي، وتكوين وحدته الروحية والثقافية، إلى أن تحول هذا الغرب إلى تكتل حضاري واسع، وإلى فاعل تاريخي قادر في الحوض المتوسط والعالم، ولذلك فإن الجانب الذي يتركز فيه العداء للعرب كما يقول «برهان غليون»: «هو الهجوم على الإسلام بوصفه رديف العرب التاريخي ومرتكز هويتهم جميعا، ومحاولة تشويه صورته وتنمية الخجل فيه، ودعم كل من يتنكر له من أهله أو يدعو الى التنكر له»[1].

ويتحدث «بيتر مانسفيلد» في كتابه «العرب اليوم» عن العوامل الكامنة خلف التحامل والعداء الغربي للإسلام ويذكر في هذا الصدد العاملين التاريخي والديني، وكذلك الجانب الاستعماري. حيث كان الصراع بين الغرب النصراني وبين العالم الإسلامي في العصور الوسطى - حتى بداية عصر النهضة الأوروبية - صراعا بين قوى متكافئة، تبادلت العداء والاحترام في آن واحد. هذا الوضع تغير في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين عندما تفوقت أوروبا على المسلمين بامتلاكها القوة التقانية وتفجيرها الثورة الصناعية[2].

وبتفجر الثورة الصناعية وجد الغرب عاملاً جديداً يمكّنه من إزدراء المسلمين بسبب تخلفهم في هذا الميدان، لقد أصبح الإسلام موضع انتقاد الأوروبيين لأن اتباعه دخلوا مرحلة من الانحطاط المادي بعد أن سيطروا على العالم ألف عام، وهذا في نظر الغربيين دليل على فشل الإسلام نفسه[3].

وفي العقد الثاني من القرن العشرين نشبت الحرب العالمية الأولى، التي أعقبها اقتسام الغرب للعالم الإسلامي والعربي، وجاهدت البلاد العربية الإسلامية لتنال استقلالها، لينشأ بذلك عامل جديد آخر من عوامل الكراهية والعداء بين العرب والغرب حين اتهم الغرب العرب - بسبب ذلك الجهاد - بالخيانة وعدم الوفاء وعدم تقدير منافع الاستعمار[٤].

بعد ذلك شكل الموقف من الصهيونية عاملاً رئيساً لتنامي العداء للعرب والمسلمين، حين تعاطف الليبراليون الغربيون والديمقراطيون الاشتراكيون، واليساريون، والصحفيون، ورؤساء الجامعات مع الصهيونية، مما حال دون تعاطفهم مع العرب على الأقل في البلاد المجاورة لفلسطين[٥]؛ ولذلك فإن الكثير من العرب ينظرون إلى هذه «النغمة العدائية» على أنها نتاج «الروح الصليبية» المتغلغلة في أعماق الغربيين.

ويعلق الدكتور «اسبوسيتو» على قضية «الروح المسيحية - الصليبية في الغرب» بالقول: «إنني أعتقد أن الغرب اليوم يحمل صبغة الاستعمار الجديد أكثر من صبغة المسيحية». وفيما يتعلق بالطريقة التي تتناول بها وسائل الإعلام الإسلام والمسلمين فإن «اسبوسيتو» يرى أن معالجة الغرب للإسلام تخفي التنوع والثراء الكامنين في هذا الدين، وتظهره وكأن له وجهاً واحداً، أو كأنه صب في قالب جامد، عن طريق تبني الأساليب الانتقائية المتحيزة التي لاتختار من الإسلام أو من حياة المسلمين إلا ما يوافق افتراضاتها المسبقة وهكذا تكثر في الغرب الصور النمطية عن الإسلام والمحاولات التي توحد بينه وبين المظاهر في بلد معين»[٦].

وقد كان من الأهمية بمكان ونحن نطرح هذه المسألة ان نعرض لرأي المفكر والقائد البوسني «علي عزت بيجوفيتش» في تفسيره لحالة عداء الغرب للإسلام حيث نجد لديه تركيزاً على البعد الثقافي؛ ففي دراسته المنهجية المهمة «الإسلام بين الشرق والغرب»[٧]، التي كانت لها أصداء واسعة في الأوساط الفكرية الغربية، يوضح أن عداء الغرب الحالي للإسلام ليس مجرد امتداد للعداء التقليدي والصدام الحضاري المسلح بين الإسلام والغرب منذ الحملات الصليبية، وإنما يرجع إلى تجربة الغرب التاريخية الخاصة مع الدين، وإلى عجزه عن فهم الإسلام لسببين جوهريين، وهما طبيعة العقل الأوروبي «أحادي النظرة»، وقصور اللغات الأوروبية عن استيعاب المصطلحات الإسلامية. وضرب لذلك مثالاً بمصطلحات: الصلاة والزكاة والوضوء والخلافة والأمة، حيث لايوجد ما يقابلها في المعنى باللغات الأوربية. فالمصطلحات الإسلامية، كالإسلام، تنطوي على «وحدة ثنائية القطب» مما جعل العقل الأوروبي عاجزاً عن فهمها، وبالتالي كان عاجزاً عن فهم الإسلام، فقد أنكر الماديون الغربيون الإسلام باعتباره «دين غيبيات»، بينما يرى المسيحيون الغربيون في الإسلام حركة اجتماعية سياسية، وهكذا أنكر الغربيون الإسلام لسببين متعارضين!!.

ولبسط رؤيته هذه يستخدم بيجوفيتش في دراسته مصطلحات معروفة لمعان غير مألوفة، فهو مثلا عندما يتحدث عن «الدين» لايشمل بهذا المصطلح الإسلام، وإنما يقصره على مفهومه عند الغربيين سواء منهم الذين اتبعوه أو الذين هدموه، فهو تعبير عن علاقة شخصية تأملية بين الإنسان وربه ولاشأن له بالدين أو بأمور الحياة. وعندما يتحدث عن الإسلام فإنه يتحدث عنه في إطار الفكرة الجديدة التي ابتدعها وهي فكرة «الوحدة ثنائية القطب» التي تضم في مركب جديد القضيتين المتصادمتين المنفصلتين في العقل الغربي، ألا وهما: الروح والمادة، السماوي والأرضي، الإنساني والحيواني، الدين والدنيا. هذه الثنائية الكامنة في طبيعة الإسلام هي التي مكنته من أن يجمع بين

المتناقضين في كيان واحد، فهما لايوجدان معا وجود تجاور وإلا كان جمعهما متعسفا، وانما هو وجود تفاعل وتزاوج تنتج عنه كائنات جديدة متكاملة العناصر ومنسجمة، تماما كما يحدث في الطبيعة عندما تلتحم ذرات الهيدروجين مع الأكسجين لتنتج الماء الذي يشرب منه الإنسان والحيوان والنبات، وإلا فإن أحداً لا يشرب الأكسجين أو الهيدروجين، ويرينا بيجوفيتش كيف أن هذه الثنائية تتسق اتساقاً فطرياً مع ثنائية الحياة وثنائية الإنسان.

وانطلاقا من ذلك يرى «بيجوفيتش» أن هناك فقط ثلاث نظرات متكاملة عن العالم، هي: النظرة الدينية، والنظرة المادية، والنظرة الإسلامية، هذه النظرات الثلاث تعكس ثلاث إمكانات مبدئية، هي (الضمير، والطبيعة، والإنسان) تتمثل كل منها على التوالي في المسيحية والمادية والإسلام. وجميع النظريات والفلسفات والتعاليم من أقدم العصور إلى اليوم، في التحليل النهائي، يمكن إرجاعها إلى واحدة من هذه النظرات العالمية الأساسية. تأخذ الأولى نقطة بدايتها من وجود الروح، والثانية من وجود المادة، والثالثة من الوجود المتزامن للروح والمادة معا. فلو كانت المادة وحدها هي الموجودة، فإن الفلسفة التي تترتب على ذلك هي الفلسفة المادية، وعلى عكس ذلك اذا وجدت الروح، فالإنسان بالتالي يكون موجوداً أيضاً. وحياة الإنسان تصبح بلا معنى بغير نوع من الدين والأخلاق. والإسلام هو الإسم الذي يجمع بصورة متوازنة بين الروح والمادة، وهو الصيغة الأسمى للإنسان نفسه.

فالحياة الإنسانية تكتمل عندما تشتمل على كل من الرغبات الحسية والأشواق الروحية للكائن البشري، وترجع كل الإخفاقات الإنسانية لإنكار الدين الحاجات البيولوجية للإنسان أو لإنكار المذهب المادي تطلعات الإنسان الروحية.

ويؤكد بيجوفيتش بتحليلاته الدقيقة أن الفشل الذي أصاب النظريات الكبرى في العالم، إنما يرجع إلى نظرتها إلى الإنسان والحياة نظرة «أحادية الجانب» شطرت العالم إلى شطرين متصادمين بين مادية ملحدة وكاثوليكية مغرقة في الأسرار، ينكر كل واحد منهما الآخر ويدينه بلا أمل في لقاء. ويرى أن الغرب لكي يفهم الإسلام لابد له أن يعيد النظر في مصطلحاته التي تتعلق به.

وبيجوفيتش من خلال تحليله للفكر الغربي، يقع على نموذج متميز فيه محاولة للتركيب بين النقيضين، وقد وجد ذلك متمثلا في تقاليد الفكر الإنجليزي بصفة خاصة، وفي العالم الأنجلوسكسوني بصفة عامة، فسماه («الطريق الثالث» خارج الإسلام)، وعقد له فصلاً خاصاً في نهاية الدراسة. ويرى «بيجوفيتش» في هذا الاتجاه سعياً نحو ما يسميه «الإسلام الفطري» وإن كان دون قصد أو وعي. ولكنه يشير إلى حقائق تاريخية ذات دلائل مهمة حيث يتتبع أصول الفكر الانجليزي منذ «روجر بيكون» وينسبها إلى أصول إسلامية لايمكن إنكارها. فلم يكن اهتداء العقل الانجليزي إلى «الطريق الوسط» مصادفة ■

ولد «علي عزت بيجوفيتش» عام ١٩٢٥م، من أسرة مسلمة بوسنية عريقة بمدينة «كروبا»، تعلم في مدارس مدينة سراييفو، والتحق بجامعتها، وحصل على درجات في القانون والآداب والعلوم، متزوج وأب لثلاثة أبناء. عمل مستشاراً قانونياً لمدة ٢٥ عاماً، ثم اعتزل وتفرغ للكتابة والبحث.. حكم عليه سنة ١٩٤٩م بالسجن خمس سنوات مع الأشغال الشاقة، وكانت تهمته أن له علاقة بمنظمة الشبان المسلمين.. صدر له مؤلف تحت عنوان «الاعلان الإسلامي» كان قد بدأ في نشره على حلقات سنة ١٩٧٠م، وبسبب هذا الكتاب قدم بيجوفيتش مع أحد عشر من زملائه المثقفين المسلمين الى المحاكمة، وحكم عليهم بالسجن أربعة عشر عاما بتهمة العمل ضد الدولة، والدعوة إلى الجهاد المقدس لإقامة دولة إسلامية.. بعد تفكك الاتحاد اليوغسلافي أنشأ علي عزت وصحبه «حزب العمل الديمقراطي» وخاض به الانتخابات، فأصبح رئيسا لجمهورية البوسنة والهرسك اعتباراً من نوفمبر ١٩٩٠م.

المراجع:

١ - برهان غليون: ازمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩١م، ص ١٩

2 - Marsfiled peter "The Arabs Today: Through Western Eyes" In the Arabs Reved. By Peter Mansfiled, 451, London: Penguin Books, 1985. 18 - Ibid.

٣ - تقرير «الأمة في عام» السنوي: مركز الدراسات الحضارية، ١٩٩٢ - ١٩٩٣م، ص ٤١

٤ - مجلة «الأمة»، ربيع الآخر ١٤٠٣هـ ٤٠

5 - *Ibid*. See also, Fin Dley, Paul "A Campaign to Discredit Islam?" The Washington Report October 1992.

6 - Esposito, John L. "*Islam and Democracy*" paper presented at a conference sponsored by the Middle East Institute: A New Middle East: Myth or Reality? Washington, D.C. 4-5 October 1991.

٧ - ترجمها الى العربية «محمد يوسف عدس» واصدرتها مجلة النور الكويتية ومؤسسة بافاريا، يناير ١٩٩٤م

أخطار تلوّث المياه ووسائل حمايتها

بقلم الأستاذ : أشرف محمد متولي - مصر

من المعلوم لدينا أن الماء ضروري لجميع الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات، فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ كما أن أهمية الماء للإنسان تأتي بعد أكسجين الهواء مباشرة، ولذلك فقد اكتسبت قضايا المياه أبعاداً مختلفة فيما يتعلق بوفرة مصادره وأهمية استمرارها.

من قضايا المياه التي تناولتها الدراسات والأبحاث في السنوات الأخيرة قضية تلوث المياه والأضرار الناتجة عن هذا التلوث وأساليب الحماية المتاحة.

مصادر تلوث المياه :

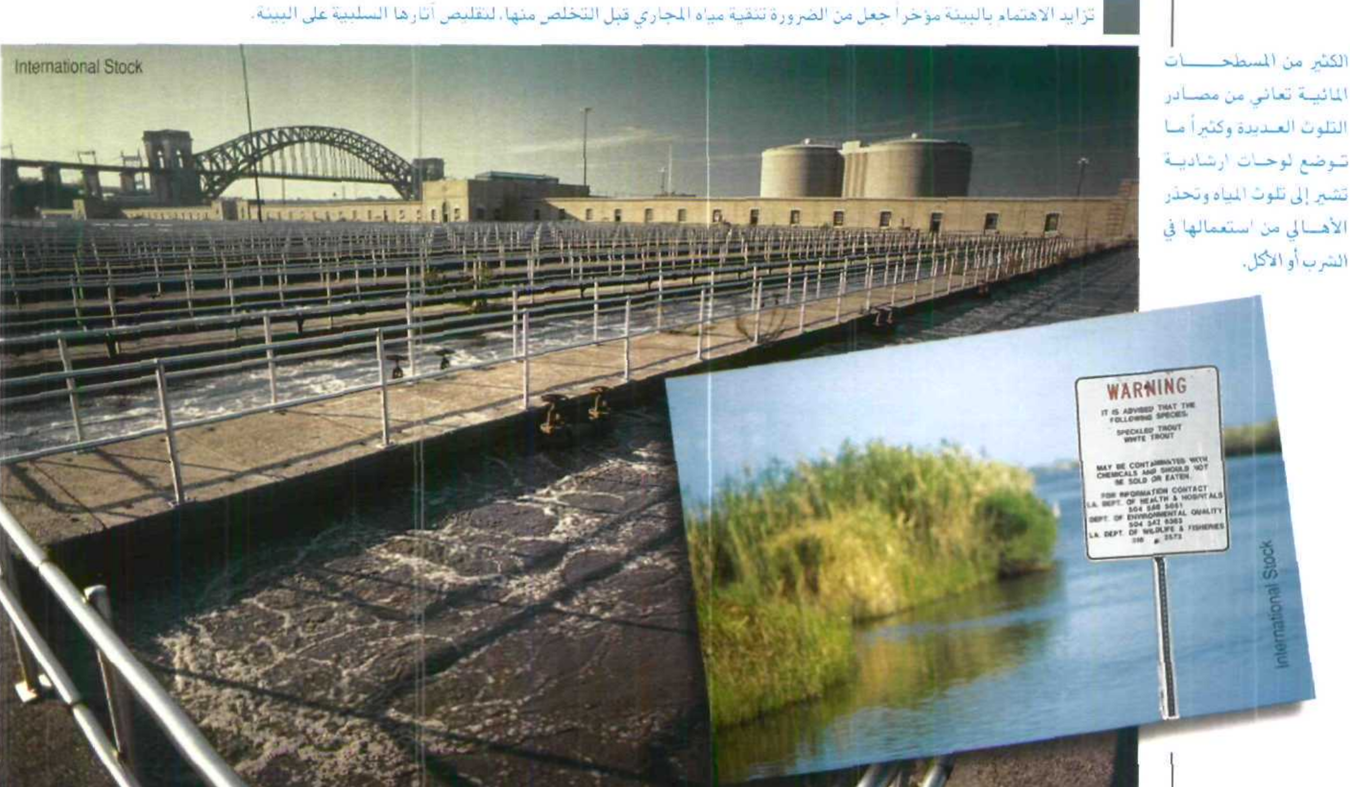
من أهم مصادر تلوث المياه تدفق مياه المجاري وتدفق المياه الناتجة عن المخلفات الصناعية والبترول إلى المسطحات المائية، كما أن المبيدات الكيميائية، ونفايات المصانع، وملوثات الهواء تصل إلى المسطحات المائية عن طريق مياه الأمطار، أو بفعل الرياح عند ملامستها لسطح الماء.

وكانت منظمة الصحة العالمية في عام ١٩٦١م قدمت تعريفاً لتلوث الماء العذب نص على أن المجرى المائي يعد ملوثاً عندما يتغير تركيب عناصره أو تتغير حالته بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بسبب نشاط السكان بحيث تصبح هذه المياه أقل صلاحية للاستعمالات الطبيعية المخصصة لها أو لبعضها.

المياه العادمة :

يقصد بهذا المصطلح المياه الناتجة عن أنشطة الإنسان في السكن، والصناعة، والزراعة، وإفرازات الحيوانات، وتحتوي المياه العادمة حسب المصدر على ملوثات عضوية، وغير

تزايد الاهتمام بالبيئة مؤخراً جعل من الضرورة تنقية مياه المجاري قبل التخلص منها، لتقليص آثارها السلبية على البيئة.



الكثير من المسطحات المائية تعاني من مصادر التلوث العديدة وكثيراً ما توضع لوحات إرشادية تشير إلى تلوث المياه وتحذر الأهالي من استعمالها في الشرب أو الأكل.

عضويـة، وجرثـومية وإشعاعيـة، وحراريـة. وتعد هـذه المياه العـادمة اليـوم من أهم مصـادر التلوث في معظم دول العـالم، فقديماً لم يعرف الإنسان مشكلة المياه العادمة نظراً لقلة عدد السكـان، وبالتـالي قلة المخلفـات التي كـانت تتكون من مـواد عضـوية سهلـة التحلل وبتركيـزات بسيطة جـداً، ومع تحول التجمعـات السكانيـة إلى مدن صغيرة. قبل حـوالي ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ سنـة قبل الميلاد زادت كميـة استهلاك الميـاه وزادت معها كميـة المياه العادمة، وخـلال هذه الفترة الزمنيـة حاولت شعـوب منطقـة حـوض البحـر الأبيض المتـوسط تأمين ميـاه الشرب ولم تراع أهمية صرف المياه بالشكل الصحيح.

ففي مدينة دارو الهندية قبل حوالي ٤٥٠٠ ق.م، التي كان عدد سكانها يقدر بحوالي ٥٠٠٠٠ نسمة بنيت الحمامات في الشوارع ونفـذت مجار عامـة لتصريف الميـاه، كما قام قـدماء المصريين واليونانيين بريّ الحقول بالميـاه العادمة لرفع كفاءة الانتـاج الـزراعي. وفي العصـور الـوسطى لم تكن حتى المدن المزدهـرة في أوروبـا تقـوم بتصريف *الفضـلات*، *لـذلك* كـانت الظروف الصحية سيئة للغاية، وفي سنة ١٨٠٧م تم بناء أول مرافق صحية بعد أن كـاد التلوث يقضي على سكان المدن حيث كـانت المياه العـادمة تصرف في عـرض الطـريق وبعد انتشـار الأوبئة التـي قضت على أعداد كبيرة من البشر بـدأ صرف مياه المجاري من خلال قنوات تحت سطح الأرض تلتقي مع مصادر المياه السطحيـة، أما عملية التخلص من هذه الميـاه عن طريق استعمالها في الـزراعـة فقـد عـرفـت في زمن القدماء ولكن لم تطبق إلا في حـالات نـادرة، وفي سكـوتلانـدا ذكـر السير شـادويـك Sir Chadwick في تقـريـر قدمه إلى حكومته سنة ١٨٤٢م أن أفضل طريقة للتخلص من المياه العادمة هي ري التربة بها، بالإضافة إلى الفائدة الناتجة عن زيادة كمية الإنتاج الزراعي.

International Stock

سبب حـادث اكسون فـالديـز النفطي في عام ١٩٨٩م دماراً واسعاً للبيئة البحرية في خليج الأمير وليم فهلكت أعداد كبيرة من القـواقع وكـلاب البحـر والطيور البحرية.

وقد ضـاعفت زيادة الكثـافة السكـانية من حـدة المشكلة، حيث أصبحت الميـاه السطحية عبـارة عن مستنقعات ملـوثة تخرج منها الغازات السامة والرائحة الكريهة.

وتنقسم المياه العادمة إلى قسمين :

مياه المنازل :

وهي عبارة عن مياه داكنة اللون وكريهة الرائحة، تحتوي على بقايا الطعام وفضلات الإنسان وكميات كبيرة من البكتيريا والفيروسات وحيوانات وحيـدة الخلية والعديد من الحشرات، وتسبب هـذه الكائنـات الحية أمـراضـاً خطيرة للإنسـان مثل التيفـوس والكـوليرا، وتبلغ كميـة الإفـرازات البشريـة التي يخلّفها الشخص الواحد يومياً ما يقرب من ١,٤ كجم وتكون حوالي ٦٠٪ من المواد العضوية الموجودة فـي المياه المنزليـة العادمة.

المياه الصناعية:

ويقصـد بها الميـاه النـاتجة عن الاستعمالات الصناعيـة المختلفة، التي تحتـوي حسب المصدر على مواد كيميائية ضارة، ويجب ألا تعالج مع المياه المنزلية العادمة.

وبمقارنة مياه المجاري المنـزلية مع مياه المخلفات الصناعية نجد أن الأولى تحتوي على ملـوثات عضوية وغير عضويـة وبنسب مختلفـة وتكون غير متجـانسة وسهلـة المعـالجة. في حين أن الأخيرة أكثـر تجانسـاً وتحتوي حسب المصدر على مواد سامة صعبة التحلل.

التلوث بالنفط :

مع زيـادة إنتاج النفط وتصـديره فإن المسطحـات المائية التي تمر من خلالها النـاقلات أصبحت معرضة

أنواع الملوثات التي تحتويها المياه العادمة الصناعية.

نوع الملوث	المصدر
التلوث الحراري	محطات توليـد الطاقة الكهـربائية، معـامل غسيل الملابس، غسل العبوات الزجاجية.
التلوث بالمواد المشعة	التجـارب النـوويـة والمفـاعـلات الـذريـة والمحطـات النووية، حفظ النفايات الذرية في البحار.
كمية عالية من المواد المترسبة	مصانع السكر، مناجم الفحم، مصـانع الزجاج، مصانع الـدباغـة والجلـود، مصـانع المواد الغـذائية، معـاصر الزيتون.
كمية عالية من المواد الذائبة	صناعة تكرير البترول، تعدين الفحم، صناعة البوتاس، مصانع الدباغة، الصناعات الكيميائية.
قواعد	مصـانع الأقمشة، تصنيع المعـادن، مغاسل الأقمشـة، مغاسل الصوف.
موادسامة	مصانـع الدبـاغة والجلود، صنـاعة الأصبغـة، تصنيع الفحم الحجـري، مصانـع المبيـدات، المصـانـع الكيميائية.



ساهمت التقانة الحديثة في إعادة تدوير المياه العادمة والاستفادة منها.

للتلوث إما من خلال الحوادث التي تتعرض لها السفن المحملة مما يؤدي إلى تسرب النفط، أو عن طريق ضخ الماء الموجود في مستودعات الاستقرار داخل السفن الذي يحتوي على كميات كبيرة من النفط، ومن أشهر الأمثلة على ذلك جنوح واصطدام ناقلة النفط توري كانيون Torry Conyon في بحر المانش سنة ١٩٦٧م حيث تسرب حوالي ١١٧ ألف طن من النفط الخام إلى البحر غطت مساحة مائية لاتقل عن ٣٢٠ كم٢ من الشواطىء البريطانية حتى فرنسا.

كما ان أزمة الخليج الثانية تسببت في تسرب كميات من النفط الخام في مياه الخليج العربي، مما أدى إلى حدوث تلوث تأثرت به الأحياء البحرية والنباتية والحيوانية، بل إنه هدد سلامة النظام البيئي في المنطقة.

وتشير الدراسات العلمية إلى أن البترول المتسرب إلى المسطحات المائية يشكل طبقة رقيقة، وأن الطن من البترول يغطي مساحة قدرها ١٢ كم٢، وتؤدي إلى تسمم بعض الطيور البحرية مباشرة، كما تتعرض الكائنات البحرية الأخرى إلى أخطار جسيمة سببها قلة تركيز الأكسجين في الماء.

تهديد صحة الإنسان :

لاشك أن المياه الملوثة أصبحت تمثل المصدر الأساس لتهديد صحة الإنسان، حيث تنتقل الكوليرا والديدان والبلهارسيا والانكلستوما عن طريق هذه المياه، كما أن تلوث المياه يعد السبب الرئيس في حالات الإسهال الحادة التي تشكل العامل الأول لوفيات الأطفال أقل من خمس سنوات في دول العالم الثالث.

وتقدر منظمة الصحة العالمية أن ٥٠ ألف شخص يموتون يومياً في البلدان النامية لتعرضهم لأمراض من جراء الماء الملوث، وحسب تقديرات أخرى فإن ٦٠٪ من أطفال الريف في هذه البلدان يشكون من أمراض لها علاقة بتلوث المياه مثل الكوليرا والتيفوئيد والإصابة بالطفيليات.

إلى جانب ذلك، فإن بعض الأبحاث العلمية أثبتت أن تلوث المياه بنسب عالية يسبب مرض السرطان الذي ترتبط محفزاته بالمادة الوراثية المكونة من حمض دي أوكسي ريبونيوكليك.

كما أن التأثيرات السمية للمواد الكيميائية تعد من الأمور الخطرة نظراً لأن اكتشافها وتأثيراتها لاتعرف إلا بعد عشرات السنين مثل مركب الـ DDT ومشتقاته.

أساليب الحماية :

التنقية الذاتية الطبيعية :

وهب الله سبحانه وتعالى الطبيعة قدرة عالية على التنقية الذاتية للمياه، فمثلاً عندما يتعرض نهر ما للتلوث بالمياه العادمة التي لايتخللها مواد سامة، فإنه يلاحظ بعد جريان الماء لمسافة تقرب من ٢ أو ٣ كم انخفاض نسبة الملوثات أو زوالها تماماً، كذلك إذا وضعنا المياه الملوثة على التربة ثم أخذنا عينة من هذه التربة على أعماق مختلفة، نجد أن المياه الراشحة في التربة فقدت العديد من الملوثات التي كانت عالقة بها، وتجري هذه العملية بوساطة عوامل فيزيائية وكيميائية وحيوية، وتساعد العوامل الفيزيائية على التخلص من الملوثات العضوية عن طريق ترسبها، إذ تلعب التيارات المائية،

توقع بعض الحوادث خاصة ما يتعلق منها بناقلات النفط اضرارا كبيرة بالأحياء البحرية.



International Stock

ولزوجة المياه التي تعتمد على درجات الحرارة دوراً مهماً في الإسراع أو الإبطاء في عمليات الترسيب.

كما تقوم الرياح بضخ الأكسجين اللازم لعمليات تحلل وأكسدة الملوثات، أما أشعة الشمس فإنها من خلال تبخير قسم من المياه تعيدها مرة أخرى إلى دورتها الطبيعية على شكل مياه نقية، كما يتم قتل بعض أنواع الجراثيم بالأشعة فوق البنفسجية.

وتقتصر العمليات الكيميائية على الأكسدة والاختزال والمعادلة، بينما تعد العمليات الحيوية أهم العوامل في عملية التنقية الذاتية للمياه، حيث تشارك بها معظم الكائنات الحية التي تعيش في النظام البيئي المائي كالبكتريا والفطريات، والطحالب، والحيوانات وحيدة الخلية «البروتوزوا»، والنباتات والأسماك وغيرها، ويتم ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وبالتعاقب حيث تقوم الكائنات الحية الدقيقة بتحليل المواد العضوية المذابة والصلبة وإعادتها إلى دورتها الطبيعية. ففي المياه العادمة الحديثة التكون نجد أولاً البكتريا والفطريات المحللة للمواد الكربوهيدراتية، ثم البكتريا المحللة للبروتينات وفي الظروف الهوائية الجيدة تأتي بكتيريا النترتة Nitrification التي تؤكسد الأمونيوم إلى نترات، كما أن الحيوانات المائية الأكبر حجماً تتغذى على المواد الصلبة، وتقوم البتروتوزوا وغيرها من الكائنات الحية بالقضاء على نسبة عالية من الجراثيم المسببة للأمراض.



تطرح الصناعات بمختلف أشكالها مواد مترسبة أو ذائبة أو سامة وأخرى مشعة في المياه السطحية مما يؤدي إلى تلويثها.

معالجة المياه العادمة :

في حالة عدم توفر التنقية الذاتية نظراً لزيادة حدة تلوث المياه، يتم اللجوء إلى عدة وسائل لمعالجة المياه العادمة للحصول على مياه نقية صالحة للاستعمال، ومن هذه الوسائل ما يتم على مرحلتين حسب ما يلي :

المعالجة الميكانيكية :

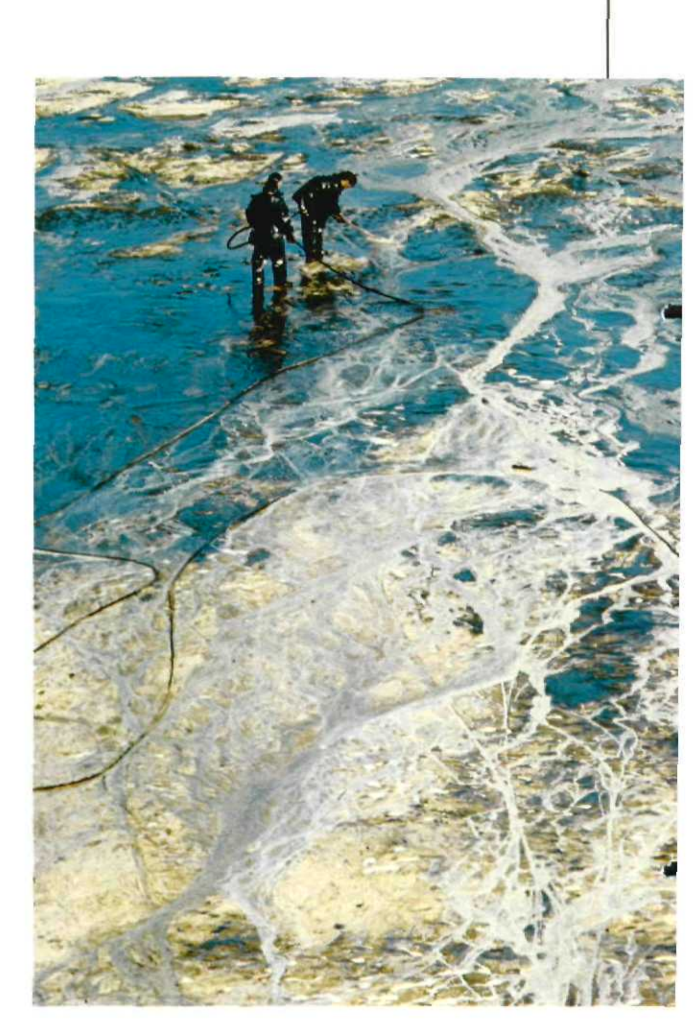
يتم خلال هذه المرحلة التخلص من الشوائب العضوية وغير العضوية مثل بقايا الخضار والفواكه وغيرها قبل دخول المرحلة الثانية، وإلا فإن بقاء تلك المواد يحد من كفاءتها.

وتعد المرحلة الميكانيكية أساسية ولايمكن الاستغناء عنها في معالجة المياه العادمة المنزلية من خلال المصافي والأحواض الخاصة بترسيب الرمل، والتخلص من الزيوت والدهون، وعملية الترسيب الابتدائية، أما درجة التخلص من الملوثات في هذه المرحلة فتصل إلى حوالي ٣٠٪.

مرحلة المعالجة الحيوية :

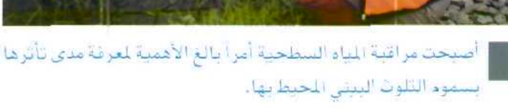
تبدأ هذه المرحلة بعد معالجة المياه العادمة ميكانيكياً، وتهدف إلى تحليل المواد العضوية التي بقيت في المياه العادمة بعد تنفيذ المرحلة الميكانيكية، وذلك بوساطة الكائنات الحية الدقيقة المحللة، التي تلعب دوراً رئيسياً في هذه المرحلة، فالمياه العادمة خاصة المنزلية والزراعية تحتوي على أعداد هائلة من البكتريا والفطريات والبروتوزوا وغيرها من الكائنات الحية التي تقوم بعملية التنقية.

ولضمان كفاءة عالية لهذه الكائنات في تنقية المياه يجب أن تتوافر لها نفس شروط عملية التنقية الذاتية التي تشمل توافر كمية كافية من الأكسجين المذاب في الماء، و درجة حرارة ملائمة بالإضافة إلى توافر كميات غذائية من الكربون العضوي



والأملاح مع عدم وجود سموم تمنع أو تمثل حجر عثرة أمام عملية التنقية، وفي هذه المرحلة يمكن معالجة المياه العادمة بعدة طرق من أهمها المرشح الحيوي Trickling Filter، والحمأة المنشطة Activated Sludge والمعالجة اللاهوائية، وكذلك استعمال التربة وبرك الأكسدة بأنواعها. ويتم اختيار الطريقة الملائمة وفق طبيعة المناخ في منطقة المعالجة، ونوعية المياه العادمة، والكثافة السكانية وغيرها.





أصبحت مراقبة المياه السطحية أمراً بالغ الأهمية لمعرفة مدى تأثرها بسموم التلوث البيئي المحيط بها.

استعمال التربة :

يعد استعمال التربة في معالجة المياه العادمة من الأساليب المناسبة للدول النامية، خاصة ذات المناخ الجاف أو شبه الجاف نظراً لانخفاض تكلفتها الاقتصادية، وسهولة تطبيقها، ورفعها لكفاءة الإنتاج الزراعي.

وكما سبق أن ذكرت فإن استعمال التربة في معالجة المياه العادمة طريقة معروفة في العصور القديمة وما تزال هذه الطريقة مستخدمة حتى اليوم، ومن البديهي أن كمية المياه العادمة التي تستطيع التربة ان تستوعبها تختلف حسب الظروف المناخية السائدة في المنطقة من درجات حرارة (تبخر)، وكميات تساقط (المحتوى المائي للتربة)، ونوعية المزروعات قبل الري، لكون بعض أنواع النباتات تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه. أما ما تتمتع به التربة من قوة تنقية عالية فإنه عائد لمجموعة عناصر منها:

- الترشيح داخل التربة.
- الكائنات الحية المحللة التي تعيش بأعداد هائلة في التربة.
- النباتات الخضراء التي تمتص المياه ومعظم الملوثات باعتبارها مغذيات نباتية مثل النترات والأمونيوم والفوسفات وغيرها، كما أنها تنتج وتبخر قسماً من المياه إلى الغلاف الغازي وبذلك تعيد قسماً من المياه إلى الدورة الطبيعية.

احتياطات أخرى :

بالإضافة إلى مجموعة أساليب الحماية التي سبقت الإشارة إليها فإن هناك احتياطات أخرى لتجنب تلوث المياه وآثارها على صحة الإنسان ومن هذه الاحتياطات :

- العمل على إدخال المفاهيم البيئية في المناهج التعليمية في جميع المراحل الدراسية، مع رفع مستوى الوعي البيئي للمواطنين وتعريفهم بالأضرار الناجمة عن التلوث وبأهمية المحافظة على مشروعات مياه الشرب.
- إنشاء محطات معالجة للمخلفات البشرية في المدن الكبرى المزدحمة بالسكان.
- منع صرف مياه المجاري والمخلفات الصناعية في الوديان إلا بعد معالجتها، وتتوقف درجة المعالجة على بعد وقرب مصدر التلوث من المسطحات المائية.
- تفريغ الزيوت المستعملة في حاويات خاصة، حيث تسبب مخلفات الزيوت المعدنية الناتجة عن استعمال محركات الديزل في السفن تلوثاً لايستهان به في مياه الأنهار والبحار، وتجنباً لذلك يمكن توظيف سفن خاصة تجوب أماكن ازدحام النقل مهمتها جمع الزيوت، ويمكن الاستعاضة عن هذه السفن بوضع حاويات ثابتة في أماكن معينة ومعروفة لتودع فيها مثل هذه المخلفات، بدلاً من إلقائها في البحر مباشرة، وقد طبقت هذه الوسائل في أنهار وسط أوروبا وأثبتت نجاحاً كبيراً.
- إيجاد حرم لكل مصدر مائي وحمايته بشكل كاف، بحيث يمنع أي تعد عليه بموجب قانون يصدر لهذه الغاية.
- عدم السماح لأية منشأة القيام بالعمل قبل أن تضمن تصريف مخلفاتها بشكل سليم بحيث لاتشكل أي ضرر يلحق بسلامة البيئة.
- وضع معايير لضبط درجة نقاء المياه التي تعرضت للتلوث، فلا يسمح لدولة ما بتصريف مياه ملوثة بدرجة تفوق القيم المتفق عليها قبل إخضاعها لعملية التنقية.
- تكوين جهاز إقليمي مهمته مراقبة التلوث واتخاذ الإجراءات المناسبة للمكافحة، وتحديد الجهة المسؤولة عن التلوث وفرض تعويضات للطرف المتضرر.
- انشاء مركز عربي متخصص يعمل على رفع مستوى العاملين في مجال سلامة البيئة من جهة ويتابع نشاطات المنظمات الإقليمية والدولية المهتمة بسلامة البيئة من جهة أخرى ■

المراجع :

١ – د. سامح غرايبه، د. يحيى عيسى فرحان، المدخل إلى العلوم البيئية، عمان (الأردن)، دار الشروق ١٩٨٧م.

٢ – شارلز ساوثويك، علم البيئة ونوعية بيئتنا، قيصر نجيب صالح، سهيلة عباس، طارق صالح، الموصل، جامعة الموصل ١٩٨٤م.

3 - Austin, E.P., First-Stage treatment, Water Pollution Control Technology, Department of the Environment and the Central office of Information, London, 1979.

4 - Clough, G.F.G. Physical - Chemical Processes of Waste Water treatment, Water Pollution Control Technology, Department of the Environment and the Central office of Information, London.

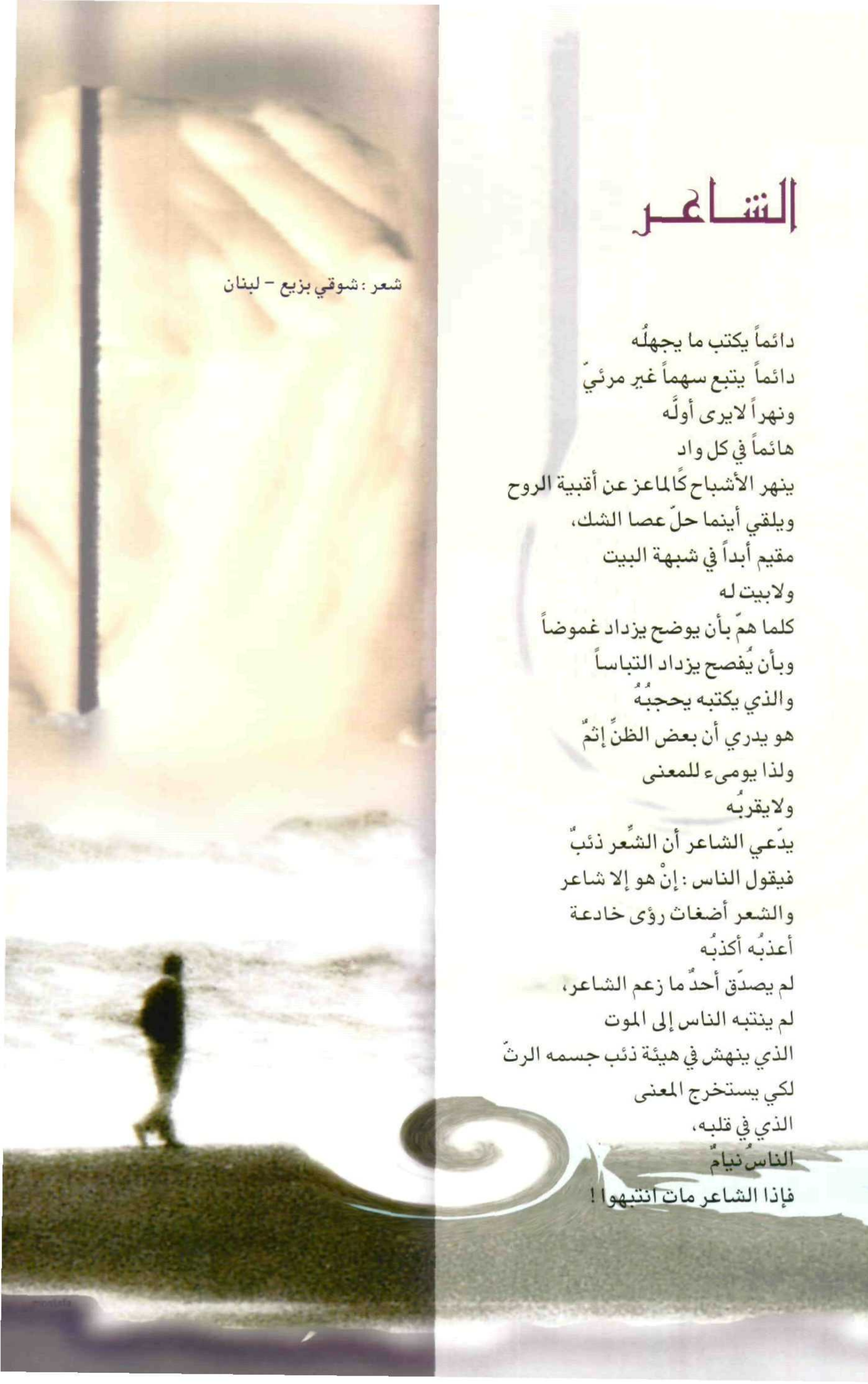
٥ – محمد السيد ارناؤوط، الإنسان وتلوث البيئة، القاهرة الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٣م.

٦ – د. محمد رفيق حمدان، مصادر تلوث المياه البحرية ووسائل حمايتها وعلاقة ذلك بالتوازن البيئي، وقائع ندوة البيئة وحمايتها من التلوث في أقطار الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٧ – اسماعيل السعيد، تلوث المياه السطحية، ندوة تلوث البيئة ومشاكلها في الوطن العربي، عمان ١٩٨٤م.

8 - International Tanker Owners Pollution Federation London, 1981 Use of Booms in Combating Oil Pollution, Technical information Paper.

٩ – محمد العورات، التلوث وحماية البيئة، الاهالي، دمشق ١٩٨٨م.



الشاعر

شعر : شوقي بزيع – لبنان

دائماً يكتب ما يجهلُه
دائماً يتبع سهماً غير مرئيّ
ونهراً لايرى أولَّه
هائماً في كل واد
ينهر الأشباح كالماعز عن أقبية الروح
ويلقي أينما حلّ عصا الشك،
مقيم أبداً في شبهة البيت
ولابيت له
كلما همّ بأن يوضح يزداد غموضاً
وبأن يُفصح يزداد التباساً
والذي يكتبه يحجبُهُ
هو يدري أن بعض الظنّ إثمٌ
ولذا يومىء للمعنى
ولايقربُه
يدّعي الشاعر أن الشِّعر ذئبٌ
فيقول الناس : إنْ هو إلا شاعر
والشعر أضغاث رؤى خادعة
أعذبُه أكذبُه
لم يصدّق أحدٌ ما زعم الشاعر،
لم ينتبه الناس إلى الموت
الذي ينهش في هيئة ذئب جسمه الرثّ
لكي يستخرج المعنى
الذي في قلبه،
الناسُ نيامٌ
فإذا الشاعر مات انتبهوا !

الأدب الإسلامي وشبهة الانغلاق

بقلم الأستاذ: قطب الريسوني - المغرب

وقر ظنٌ في أخلاد نفر من الباحثين ممن نذروا لدراسة الأدب الإسلامي حظاً غير يسير من سعة الأنفس وبذل الأقلام، بأن هذا الأدب لايشكل في حد ذاته أو في صورته المجردة إلا بنية مغلقة من الصور والرموز والظلال، تستنكف عن الوفاء بمستجدات الحاضر المتجلية، فيما تعيش الآداب الأخرى ضروب التطور وألوان الارتقاء .. وهو استنكاف شلّ في الأدب الإسلامي نوازع التطلع والاستشراف، ودفع به دفعاً إلى الارتكاس في محيطات التقوقع المرادفة للموت والتقهقر والانحسار.

إن فرية (الانغلاق) التي دمغ بها الأدب الإسلامي تمحلاً وإجحافاً في غير محفل من محافل الأدب، صيحة من تلكم الصيحات الأثيمة التي دفعتها فجاجة الفكر أو خبث الطوية إلى التورط في مغبة التعجل والارتجال، وهي صيحات إن اختفت حيناً لاتلبث أن تبادر بالظهور حيناً آخر، حين تتوافر أسباب ذلك ودواعيه، وهكذا ظل الأدب الإسلامي هدفاً عصياً دونه عوائق جمة وعقبات كؤود لا تذلل إلا بالدأب الحثيث والسعي المتواصل .. وبين هذا وذاك يسأم العابر الذي لايستطيع التؤدة والتريث، ويتبرم المتعجل الذي تثقله كثرة الشواغل وتراكم الأحمال.

إن الإسلام لم يجهر برأي محدد وموقف صريح من المناهج الفنية الحديثة، مما يشير بوعي وإدراك عميقين لطبيعة الشكل وتطوره عبر العصور[1]. وإيمان راسخ بأن كل تحول في الحياة الاجتماعية قد يؤدي إلى تحول في الذوق الجمالي[2].

وهذا يعني أن الرؤية الإسلامية لم تجهر برفض المناهج الفنية الحديثة، وعياً منها أن الإمعان في استقلال الذات دونما تعليل معقول أو عذر سائغ لايعدو أن يكون ضرباً من الاستعلاء السخيف الذي من شأنه أن يطامن من انزياح التلاقح الأدبي ويعزف عن الاستفادة الثرية مما يحبل به وفاض الآداب الأخرى من عطاءات فنية ومنهجية.

ولا أخالني مغالياً إذا ذهبت في قولي إلى أبعد من هذا، وزعمت أن الرؤية الإسلامية تستحسن الانفتاح، بل وتحض عليه انطلاقاً من أسباب ودواعي مختلفة، لعل أكثرها أهمية وخطورة الباعث الجمالي والأدبي، وإحكام الصنعة الفنية.

ولعل الانفتاح على الآداب الأخرى تمثلاً واستيعاباً لعطاءاتها الفنية حري بأن يكفل للنتاج الأدبي الإسلامي ضروباً من التطور وألواناً من الارتقاء، وقد تمثّل الأدباء المسلمون على نحو من النضج العقلي والوعي بالذات الموقف التنظيري للرؤية الإسلامية من الانفتاح على الآداب الأخرى، لم يتحرجوا من استخدام الرمز والأسطورة، وغيرهما من طرائق التعبير، التي من شأنها أن تسعف في إثراء الخطاب الشعري، وتعميق رؤاه التي يفيض منها ويهجس بها، في إطار تجلية مواقفه الخاصة من إشكالات الكون والإنسان والحياة.

ومن خلال جولات قصار، نزجيها بين جنبات الدواوين الشعرية الإسلامية، نستطيع الظفر بنماذج شعرية غير يسيرة، قدمت من خلال الرمز والأسطورة صوراً شعرية تلاحم في أطوائها الانفعال بالرؤية، مما أظفرها ضرباً من الإرهاص الدال والهاجس الموحي، وليس بالمستطاع هنا استقصاء تلكم النماذج على نحو مفصل ومستوف.

ولنقف هنا عند مقطوعة من قصيدة للشاعر الإسلامي محمود مفلح، يقول فيها:

هذي حكايتنا الأخيرة
وتضرجت بدم الشهادة شهرزاد
جفت حروف الماء وافترس القصيدة سندباد
لاوقت للقبل الحميمة
فالعناق يطله سيف ويحكمه زناد[3]

وقد يكون من السهل والميسور أن نتبين هيمنة الفعل الأسطوري على أجواء هذه المقطوعة فالرمز الأسطوري سندباد الذي ورد في السياق الشعري والشعوري حقق من دفقات الشعور وخلجات الإحساس المستحكمة في منطق النص ضرباً من التناغم بين السياق العام للتجربة الشعورية ومنطق الأسطورة المتوسل به.

وشخصية (السندباد) المعروف في الموروث الحكائي العربي، هو ذاك التاجر الذي ضرب في الأرض وطاف في الآفاق، بحثاً عن التحف والطرائف، فتجشم في رحلاته أهوالاً جساماً لم ينج من براثنها إلا بعد نصب وعناء غير يسيرين، بيد أن الشاعر لايتوسل بهذا الرمز الأسطوري في مستواه العادي أي (على المستوى الجمعي للإنسان، لأن القصة إنسانية إجمالاً - وفي ايجاز - هي قصة المغامرة في سبيل كشف المجهول)(٤).

ومن ثم فإن (السندباد) الذي يفرزه منطق النص الفني والشعوري معاً، هو رمز استدعاه سياق التجربة، وألفى فيه تفريغاً لعاطفة مكبوتة، وتنفيساً عن هم دفين، فرحلة هذا (السندباد) ليست ضرباً في أكباد الأرض للظفر بالتحف والطرائف، وإنما هي إبحار في عوالم الفجيعة والانتكاس .. لكن الرحلة على حدتها وضراوتها تستبعد الموت والتخاذل والخنوع وتستحضر في الوقت نفسه رؤية مفعمة بالإشراق والتفاؤل، ما دام (السندباد) في تلاحمه الجدلي الحميم مع السياق العام للتجربة الشعورية، يحمل بين طياته وجوانحه زخماً من الأبعاد النفسية والدلالية المبشرة بزمن العودة والخلاص.

على أن شاعرنا حين يطوف بآفاق الموروث، ويستدعي رموزه بوحي من سياق التجربة، لايروم النكوص والتمسك بأسوار الماضي، على نحو يعصمه من شرور التحدي ومجابهة عقبات العصر الشرسة، وإنما يتوسم في رموز التراث نسقاً فنياً هو من الوعي النقدي بالدرجة التي تسعفه في أن يهجس بهواتفه ورؤاه هجساً موحياً يجلي مواقفه الخاصة والمتميزة من إشكالات الكون والإنسان والحياة، مما يشفع لنا بالقول ان قيمة الرموز الأسطورية لاتبرز للعيان على نحو جلي وواضح إلا من خلال (لحظة التجربة ذاتها، وليست راجعة إلى صفة الديمومة لهذه الرموز ولا إلى قدمها).

لقد نجح بعض الشعراء الإسلاميين أحياناً في إيجاد التناغم الحيوي بين الرمز الأسطوري والسياق العام للتجربة الشعورية، كما أنهم لم يوفقوا أحياناً في إيجاد السياق الموائم للأسطورة، بمعنى أن أسطورة الواقع قصرت عن احتواء خلجات الموقف، واستبطان أبعاده النفسية، مما غيب عنها ميسم (الشعرية)، وصيرها ضرباً من الرمز اللغوي أو العلمي، أو مقولة عقلية تحيل إلى عقيدة أو مذهب معين.

ولئن نهضنا - فيما سبق - بالتدليل على ركوب شعرائنا للأسطورة، في ضوء رصد علاقتها بالسياق العام للتجربة الشعرية والشعورية معا، فإن مما يجدر الانعطاف عليه بالبسط والتوضيح استيفاء للقول وتعميقاً للرؤية، أن نجلو مدى فعالية الأسطورة في تشكيل الصورة الشعرية وإثراء الوشاح الفني .. ولنقف هنا أمام مقطوعة من قصيدة الشاعر الإسلامي محمد علي الرباوي يقول فيها :

عامك هذا عام الحزن فلا تحزن
هذا الأرقم يخترق الأسوار
يكتسح الأنهار
ويرسم وجها في شكل القوس الغاضب
يدعوك أن اركب متن حصانك (٥)

إن هذه المقطوعة على صغر حجمها أنفاس شجية تسعى ما استقام لها السعي إلى الاحتفال بلحظة الحزن بوصفه فعلاً تغييرياً قميناً أن يرفد الطلائع بمضاء المجابهة والاختراق. ولئن استغرق هذا الحزن الأجواء والعوالم والظلال، فإنه ما يلبث أن يشيع بارقة من الأمل تكتسح الظلمة، وتدك الأسوار، بل وتصبح الرؤية أشد وضوحاً وجلاء حين يستدعي السياق الشعري الرمز التراثي (الأرقم)، الذي ما فتيء يفجر بين تضاعيف النص بعداً إيحائياً ثرياً، يميع الحدود والفواصل بين معطيات الواقع المحسوس وعوالم التخييل الرحبة.

وليس ثمة شك أن في استدعاء هذا الرمز التراثي، ما يوميء بوعي الشاعر العميق بضرورة انبثاق فعل تغييري يكتسح الأنهار والأسوار، ويدعو إلى ركوب المخاطر وتجشم الأهوال من أجل صياغة غد أجمل وأفضل، يسترد في ظلاله الإنسان سكينة الأمن وهدأة الطمأنينة .. فالأرقم هو محور الرؤية وبؤرة الفن في النص، أما من حيث الرؤية، فلا ريب أن عام الحزن في المقطوعة يوميء إلى زمن الفجيعة والانتكاس، و(الأرقم) هو مكان تاريخي يحفز على فعل الانطلاق والتجاوز ارتيادا لعوالم الخلاص .. أما من حيث الفن، فإن هذا الرمز يخلع على النص ظلالاً وارفةً من الكثافة الأدبية والإيحاء الشعري، ما فتيء يختلج معهما بنبض التوهج وخفقة العنفوان.

ولئن ظفرنا في ديوان الشعر الإسلامي بنماذج غير يسيرة تنهض بالتدليل على لجوء الشعراء إلى التراث كأداة فنية، فلسنا نعدم بين عطفي هذا الديوان نماذج تدلل على توسل هؤلاء الشعراء أنفسهم بـ (الرمز الذي يتبلور في كلمة واحدة) (٦)، وقد قطع الشعر الإسلامي في هذا المجال

أشـواطاً عـريضة وخطـوات فسيحـة، حتى كاد أن يظفـر كل شـاعـر بقـامـوس رمـوزه الخاص، وهي رمـوز إن اختلفت مصادرهـا، وتضاربت أصنافهـا تبعاً لتضارب مـزاج الشعراء وتفاوت حظوظهم من التحصيل المعرفي، فإنها - أي الرموز - لا تكاد تشذ عن نوعين اثنين :

- رمـوز مستقـاة من عـوالم الطبيعـة. كالشجـر والمطـر والبحر .. الخ

- أسماء الأماكن والمدن ذات الدلالة التاريخية الخاصة.

ولنقف هنا عنـد مقطوعة مـن قصيدة للشاعـر الإسلامي حكمت صالح، يقول فيها :

حين أنشر وجهي في السماوات شراعاً
يعتريني وهج الشمس عزيمه
حينما أبرق في ليل السحابات شعاعاً
أمتطي صهوة عمري
وهو يمتد بعمق الكون
ينسل انفلاتاً من السديمات العظيمة (٧)

ولعل هذه المقطـوعة تحفل بـرموز شعريـة هي من الغنى والثراء بالدرجة التي أظهرت الصور ضرباً من الهجس الموحي والإرهـاص الـدال، فـالشعـاع والشراع والشمـس والصهـوة والسديمات .. رمـوز مستقاة من عـوالم الطبيعة، يـرتقي فيها الشـاعـر من مستـوى اللفظة الجامـدة إلى مستـوى اللفظـة الرامزة التي تبـوح بالتجربة وتلون الموقف، فتحـول الرمز من أداة فنيـة مفتعلـة مطمحهـا التأنق والتـوشيـة، إلى دلالـة موضوعية للرؤية والانفعال .. ذلك أن رموز النص لم يتيسر لها ضرب من التـلاحم الحميم بـالسيـاق الشعـري إلا بـوحي من المعانـاة النفسية وإيعـاز من دفقات الشعـور، التي تطعم هذه الـرموز بـدلالات خـاصـة وإبعاد متميـزة تفترق عن مـدارات المألوف من كلام الناس.

ولنأخذ على سبيل المثال لفظة (الشراع)، وهي لفظة يكون ورودها في السياق الشعري المألوف دلالة على السفر والرحيل، وقد يكون مطمح الشاعر من سـوق هذه اللفظة لايكاد يشذ عن هـذه الدلالـة، بيـد أن اقتران الوجـه بـالشراع خلع على النص وسماً من الغرابـة والإدهاش لانستكثر عليه تطـريب القارىء أو استجـادة الدارس على حـد سـواء. فقد يكـون من الغـريب بمكان أن يسافـر الوجه ويمتد شراعاً يمخر عبـاب الآفاق، بيد أن أول وآخر ما تقتضيه خصوصية اللغة الشاعرية هو انتهاك قوانين اللغة، أو إحـداث فجوة ومسافة تـوتر - على حد تعبير كمال أبو ديب - بين اللغة اليوميـة واللغة الشعرية في تشكلها الأدبي والجمالي.

والذي يتبـدى من خلال النـص أن الشاعر مسكـون حتى النخـاع بهوس التأنق في رسم الصـورة التي بـدت حشـداً من الألفاظ الموحية، ومجموعـة من الكلمات المنتقاة، التي ما تفتأ أن ترسـم بعنايـة مهذبة معـالم اللوحـة، وتخلع عليهـا اللون والإيقاع والظل .. ولعل من تداعيات النفس القابعة وراء الفكر والشعور تستجمع الصـورة المؤثرة لحمتها وسداهـا، فتطرب المتلقي بتـلاحم الخطـوط وتماوج الظلال، وتمنحـه في نهايـة التأمل والمخاض الرسم البديع والتشكيل المونق.

فليس غير نظـرة خاطفة في النـص، تجلو لنـا أن القصيدة عنـد الشاعـر معمار أنيق قـوامه التنقيـح المهذب والتشـذيب البالغ، مما يذكرنـا بحوليات الشعراء الجاهليين التي سلخوا في ابداعها أوقاتاً غير قصار من التجويد وإحكام الصنعة .

إن الشاعر في النص تكفيـه من التعبير جرة أزميل، وتغنيه عن الإفصـاح لمسـة ريشـة، أو آهـات تلفظهـا جـوانح النفس وأطواء الـوجدان في لحظة التـوهج والاحتراق، وهي لحظة لا تفتأ أن تختـزل حيثيات الـزمان ومعطيـات التجربـة في صور ولوحات تـرهص برؤياها، وتهجس بمكنـونها، وتحبل بالآمال والـوعـود الحالمة، في شيء غير يسير من المواربـة الـذكيـة والتركيب الفني.

إن استعمال الشاعـر الإسلامي لرمز مـا في معنى معروف ضمن سياق معين لايلزمه بالضرورة مجافاة هذا المعنى أو ذاك السياق في قصيدة من قصائده، حينما تتهيأ أسباب هذا التجافي وتتـوافر دواعيـه الفنية، فلعل (الـرمز إذا تجمـد عند مغـزى بعينه فقد قيمتـه الشعرية، ومن ثم كان دور الـرمز المعين في كل قصيدة يختلف نوعاً مـن الاختلاف عن دوره في قصيدة أخرى، سواء أكانت للشاعر نفسه أم لشاعر غيره) (٨).

نستشف ممـا سبق ذكـره أن الشعـر الإسـلامي لم يجد غضاضة أوتحرجاً من التوسل بطرائق التعبير الحديثة، وعياً منه أن الانفتاح الواعي يكفل للنتاج الشعري دواعي التجويد والإحكام، إننـا نستحسن الانفتاح، ونلهـج بضرورة الاستفادة ممـا تفيض به الآداب الأخـرى من عطـاءات فنية ومنهجيـة، ولكن نقيد الشعـراء في توسلهم بالرمز والأسطـورة بجملة من الشروط، لانشك لحظـة أن في الـوفاء بها مـا يهيء للقصيـدة أسباب التوهج الجمالي ودواعي المنعـة من التشتت في الدلالة والانفراط في المضمون . وهذه الشروط هي :

- أن لايكون الرمز مقحماً على السياق الشعري، على نحو يقصر معه على احتواء التجربة الشعورية واستبطان أبعادها النفسية، حرصاً على فاعلية الرمز في تشكيل الصورة الشعرية وإثراء الوشاح الفني.
- أن لايستخدم الرمز بطريقة آلية، يغيب عنه الميسم الشعري، ويحيله إلى مقولة عقلية صرفة تومىء إلى معتقد أو مذهب أدبي معين.
- أن يرتبط الرمز المستخدم بتجربة الحاضر الراهنة، على نحو يمسي معه نسقاً فنياً هو من الوعي النقدي بالحد الذي يسعف الشاعر في الإرهاص برؤاه والهجس بمواقفه إزاء إشكالات الكون والإنسان والحياة في شيء غير يسير من المواربة الذكية والتغرير الفني.
- ان لايغرق الشاعر في استخدام الرموز في القصيدة الواحدة إلى الحد الذي يتعذر معه تمثل وظيفة كل رمز على حدة.
- أن ينتقي الشاعر الرموز التي ظفرت بين جمهور القراء بسعة الذيوع والانتشار، فقد يكون لورود أسطورة غربية في المساق الشعري بترا لحبال التواصل والتعايش بين الشاعر والمتلقي، وآية ذلك أن هذا الأخير إذا ما شق عليه تمثل الأسطورة وفك رموزها، ينعت القصيدة بالغموض والاستغلاق ومن ثم يولي سمعه وبصره عن الشعر، ويروم النفع والجدوى في غيره من أجناس الأدب وفنون القول.

إن هذه الشروط تنسحب على الرمز بشقيه : الأسطوري والمفرد، ولعل في تنكب الشعراء عنها ما يسعف في تغييب جدوى الانفتاح بوصفه أداة تسعف النتاج الإبداعي على تلمس دواعي الإجادة والإتقان .. بيد أن هذه الجدوى لن تتحقق على النحو المرجو إلا بفهم عميق وواع لمفهوم (الانفتاح) الذي يحض على الإفادة من عطاءات الآداب الأخرى، إفادة تقيد دون أن تتقيد، وتحتوي دون أن تُحتوى، مما قد يكفل للذات الأدبية العربية ضرباً من التميز ولوناً من الاستقلال، يستعصي معهما الانصهار في ذات الآخر عقيدة وفكراً وفناً.

إن الأدب الإسلامي يمارس الانفتاح على مستويين :

أولهما : مستوى فني يتمثل في سعيه الدؤوب نحو الإفادة من المذاهب الأدبية الغربية كالمذهب الرمزي والمذهب السريالي وغيرها من الاتجاهات التي تمتلك صيغاً تعبيرية متميزة، وطرائق خاصة في طرح الأفكار ومعالجة المضامين.

ثانيهما : مستوى فكري يتمثل في تبني الأدب الإسلامي لقضايا الإنسان المعاصر في كل أرجاء هذا المعمورة، دون أن يحفل بحدود الزمن وحوافي المكان .. وما من قصيدة أو قصة نطالعها إلا ونصادف بين جوانحها اصطلاء جميلاً بهموم الواقع ومشاغل الحياة على نحو تتحقق معه رسالة الفن الطامحة إلى التغيير والاستشراف.

إن الرجوع إلى مظان الشعر الإسلامي المعاصر لاستكشاف حضور الرمز والأسطورة، واختبار ثرائهما الفني في تشكيل الصور الشعرية والنظر في نصوص هذا الشعر على تفاوت حظوظها من نضج الفكر واستواء الفن حري أن يوقفنا على كلف الشعراء الإسلاميين بالإفادة من العطاءات الفنية الحديثة دون ان تتسرب إلى أطوائهم عقدة الذنب، أو يقر في أذهانهم وهم مجافاة الرؤية الإسلامية والتنصل منها.

ومما يجدر التنبية إليه أن أية حركة ثقافية إنسانية، فكرية كانت أو أدبية أو سياسية، لايسوغ لنا البتة استصدار حكم في شأنها، إلا بعد أن تسلخ في رحم الزمن أعواماً عديدة، تستوي فيها الملامح وتتضح الصور .. ثم يحين وقت التشريح والاختبار، فإما أن تستأهل العيش، وتظفر بالتمكين والذيوع بين الناس، وإما أن تزبن في الهامش لايدركها مد الحياة والنماء.

والأدب الإسلامي المعاصر تجربة غنية، فهي مهما ضربت بجذورها في أغوار القدم، لايكاد يربو عمرها عن أعوام يسيرة ترتد إلى العقود الأولى من القرن الراهن. ومن ثم فإن استصدار أحكام تجنح إلى التقدير والتقويم، تعد سابقة لأوانها، وهذا أمر لانأمن معه الوقوع في مغبة الشطط والاعتساف.

ويبقى الحل الأمثل أن نحكم على الأدب الإسلامي حين تكتمل صورته وتستوي بنيته عوداً أخضر يطفح بالخصب والنماء، وحينها سيقر في الأذهان يقيناً راسخاً، إن هذا الأدب هو رهان الإنسانية جمعاء في رحلة التجاوز والاستشراف .. وليس ذلك بعزيز على أدب ملتزم مسؤول هو قبس توارثه الشعراء المعاصرون عن شعر الدعوة الإسلامية الذي ضرب أروع الأمثال عن صمود الحرف وبلاء الكلمة في معارك التغيير والبناء ■

الهوامش :

١ - انظر «جمالية الأدب الإسلامي» لمؤلفه محمد اقبال عروي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ط١، سنة ١٩٨٦، ص ٧٥.
٢ - نفس المصدر السابق.
٣ - ديوان «حكاية الشال الفلسطيني»، ص ٧١، ٧٢.
٤ - انظر الشعر العربي المعاصر - قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية» ط٢، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، سنة ١٩٧٣م، ص٢٠٣.
٥ - مجلة «المشكاة» المغربية، العدد الأول، سنة ١٩٨٣م.
٦ - انظر كتاب «الشعر العربي المعاصر - قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية» ط٢، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، سنة ١٩٧٣م، ص٢١٨.
٧ - مجلة «المشكاة» المغربية، العدد الخامس والسادس، السنة الثانية سنة ١٩٨٦م، ص١١٨.
٨ - انظر كتاب «الشعر العربي المعاصر : قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية»، ط ٢ دار العودة ودار الثقافة، بيروت، سنة ١٩٧٣م، ص ٢٢٠، لمؤلفه الدكتور عز الدين اسماعيل.

هل تكون اليابان دولة عظمى؟

بقلم : محمد عبد العزيز العصيمي - هيئة التحرير

مع مطلع ثمانينيات هذا القرن شهدت اليابان بوادر تحولات مهمة تجاه طبيعة دورها الإقليمي والعالمي، خاصة أن اليابانيين سئموا حالة (التسويات المرقّعة) التي طالما طرحتها أدبياتهم السياسية، ومنذ ذلك الحين تكثف الهاجس الياباني لتحقيق دور الدولة العظمى، الذي اقترب بزوغها بعد انتهاء الحرب الباردة وظهور النظام العالمي الجديد.

عادت اليابان من جديد تطالب بدور يليق بها باعتبارها إحدى القوى الاقتصادية المؤثرة في العالم، مع عدم استحالة تحولها إلى قوة مماثلة على الصعيدين السياسي والعسكري.

لقد اعتمدت اليابان بصورة تقليدية خلال سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية على الولايات المتحدة الأمريكية، التي فرضت وصايتها عليها بتفوقها العسكري الذي كان سائداً في الشرق الأقصى وبالغطاء النووي الذي وفرته لها. لكن هذا الوضع لم يرض بعض الساسة اليابانيين، حيث يقول سياسي بارز [١] : «يجب ألا يبقى الوضع على ما هو عليه، فأولاً : ليست الولايات المتحدة هي كل

يتحفظ الأمريكيون كثيراً على تسابق الشركات اليابانية لشراء عقارات منتقاة في الولايات المتحدة الأمريكية.



العالم بالنسبة لليابان. فالوضع الذي ظل قائماً طيلة عقود منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، لم يعد كذلك الآن. فلو استمرت الولايات المتحدة في مضايقتنا لترتب علينا أن نقول للأمريكيين بأن اليابان سوف تحدد دورها في إطار أوسع بكثير. لدينا خيارات عديدة ويمكننا القيام بنقلة أو حركة جريئة وجسورة.

وثانياً: يجب أن تؤلف اليابان والولايات المتحدة شراكة من دولتين تعملان على حل القضايا العالمية. فالشراكة بين متساويين تساعد على تثبيت مكانة اليابان ومركزها في العالم».

وفق هذه الصورة يقدم اليابانيون الآن أنفسهم. فهل تكون اليابان دولة عظمى ؟ وهل مجموعة العوامل التي يرتكز عليها اليابانيون ترشحهم بحق لهذا الدور ؟ وما هي هذه العوامل وتأثيراتها التي تجعل اليابان واثقة بأنها ستكون الدولة الأولى بين متساويين في زعامة العالم مطلع القرن القادم ؟

أسس الدور الجديد :

تستند اليابان وهي تقدم نفسها للعالم مطالبة بدور قيادي يليق بها إلى مجموعة من الأسس يعدها اليابانيون ركائز دولتهم الحديثة، ومن هذه الأسس :

الروح التقليدية:

يتمتع اليابانيون بهذه الروح مقابل نظرائهم الأمريكيين الفاقدين لها، ولعل أبرز ما يقدمه اليابانيون دليلاً على هذه الروح الانبعاث الوطني إبان عصر الميجي Miji (١٨٦٨ - ١٩١٢م) الذي يعتبر الحقبة التي كشفت فيها اليابان عن إمكاناتها إلى أقصى الحدود، وخلال ذلك العصر تعرف العالم أجمع لأول مرة على طبيعة الروح اليابانية، فقد أمكن استيعاب الثقافة الغربية وامتصاصها بشراهة في الوقت الذي حافظت فيه على القيم التقليدية، وقد عد من أبرز ملامح عصر الميجي تسامي الشخصية اليابانية، وتأصل احترام الإنسان، الذي ضحى بأنانيته لمصلحة المجتمع والدولة، فنشأ عن ذلك اتحاد شكل قوة تحريك هائلة. لقد اعتبر تراث الحضارة اليابانية المستقى عبر بضعة آلاف من السنين هو القوة الكامنة وراء مأثرة عصر الميجي الرائعة.

لكن عصر الميجي انتكس بعد بروز ظروف جديدة في أثناء الحرب العالمية الثانية وآثار تلك الحرب، ومع ذلك ظل الانتساب لحقائق هذا العصر قوياً، ليكون من السهل على الياباني - عبر دعوات صادقة ومتكررة - أن يتأسى طريق اليابان التقليدي الذي ازدهر في ذلك العصر.

وما تزال الروح التقليدية مسيطرة على اليابانيين إلى وقتنا الحاضر، فهم يعتقدون أنهم يستحقون موقعاً في القمة لمكانتهم وقوتهم الاقتصادية المشهودة، وحين تقدم اليابان نفسها لاحتلال ذلك الموقع فإنها «تضرب لشعوب العالم، التي تشهد مآزق متنوعة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً نتيجة للخلافات والنزاعات مثلاً يحتذى لكيفية شق طريق النجاح والرفاهية، تلك هي رسالة الشعب الياباني العالمية التي سوف تتحقق في نهاية الأمر».

التعليم :

يذهب كثير من الباحثين في الثقافة اليابانية إلى أن التعليم لايوازيه سوى قدسية الروح التقليدية في تاريخ



اليابان. فهناك وصايا تعد ثوابت في عقلية الياباني بالنسبة للعلم، فقد ورد في محاضرة لتربوي ياباني[٢] «إن على الياباني ألا يقترب من معلمه أكثر من مسافة ثلاثة أقدام من الخلف وهما يسيران سوياً كي لا يطأ ظله، وفي ذلك دليل على التصرف الموقر للياباني تجاه كرامة استاذه الذي يحمل رسالة تنشئة الجيل الجديد. وإذا ما حدث أن أهينت كرامة المعلم فإن الروح اليابانية تصاب بالتفسخ».

ويتفاخر اليابانيون وهم يقدمون أنفسهم للعالم الجديد أن بلادهم امتلكت مدنية متقدمة للغاية عند منتصف القرن السابع عشر وأحرزت تقدماً علمياً مذهلاً، فخلال حكم سلالة طوكوغاوا Toku-gawa الممتدة من ١٦٠٣ إلى ١٨٦٧م انتشرت أكثر من ٢٠ ألف مدرسة. وفي عهد اليابان الحديث نصت مقدمة القانون الأساس للتعليم الذي سن عام ١٩٤٧م على احترام الكرامة الفردية والسعي لتنشئة المتعلمين على حب الصدق والسلام، مع استمرار السعي لنشر التعليم الذي يهدف إلى إيجاد ثقافة فردية عالية وشاملة في كل مكان.



يعول اليابانيون كثيرا على أنظمة القطارات الجديدة (Mag. lev) للتسيير تقانة التنمية في كثير من دول العالم مطلع القرن القادم.

الانتماء والعمل :

اعتبرت مهارة الياباني وانتمائه لمحيط عمله مضرب مثل على الدوام بين شعوب العالم، وهو الأمر الذي مكنه من تحقيق هذا التفوق الفردي الذي انعكس على المجموع لتنشأ دولة قوية بكل المقاييس.

ومن المعروف أن الطبقة العمالية في اليابان تختلف عن مثيلاتها في الغرب، حيث لا ينحصر الإبداع والابتكار في اليابان بنخبة علمية أو ثقافية، وإنما يشمل جميع الناس على اختلاف مشاربهم وفي كل مرافق الحياة، ومن أسباب تفوق اليابان التقاني قوتها العاملة التي تتصف باليقظة والقدرة على الإبداع والابتكار، وكل فرد داخل شركته يقدم مساهمته ابتداء من قمة الهرم ونزولاً عند القاعدة.

وتسود ظاهرة التوظيف مدى الحياة، في قطاع الأعمال في اليابان، حيث يتوقع من كل عضو منتسب للشركة أن يلعب دوره بأقصى جهد، معتمداً على وسائله الخاصة ومن ذلك تنشأ علاقات العمل بين الأفراد لتحقيق هدفهم المشترك، ويعد الانتقال من وظيفة إلى أخرى، الذي قد يغري به الحصول على راتب أعلى عادة غير حميدة في أوساط العمل اليابانية، باعتباره نقلاً لولاء الشخص المطلع على خفايا شركة ما إلى شركة منافسة، وهو يعادل بيع المعلومات الذي يخوّن مقترفه.

لقد مثلت تلك الركائز الثلاث (الروح التقليدية، التعليم، العمل والانتماء) الأساس الفعلي الذي مكن اليابان من أن تعيد تشكيل هيكلها الاجتماعي والاقتصادي مرتين خلال قرن واحد، الأولى في عصر «الميجي»، والثانية بعد الحرب العالمية الثانية. ونفس هذه الخلفيات ينتظر أن تمكنها من تحقيق حلم الدولة العظمى من خلال جملة مقومات بنيت على هذه الخلفيات نعرض لها فيما يلي :

الاقتصاد الياباني :

أشــــار كثير من البـــاحثين إلى أن محور الصراع خـــلال المرحلة الانتقالية الراهنة التي يمر بها النظام الدولي يرتكز على المصالح الاقتصادية المتعارضة، واعتبروا أن هذا الصراع نشأ بفعل انقلاب موازين القوى الاقتصادية بين الدول الرأسماليــــة الكبرى لصالح اليابان والدول الصناعية الجديدة الصاعدة.

وتعد اليابان الآن من الأطراف الرئيسة في هذا الصراع إن لم تكن الطرف الأول فيه من خلال ما تهيأ لها من التركيز على القيادة التقانية في القطاع المدني، ولاينافسها في ذلك سوى ألمانيا. أما الولايات المتحدة الأمريكية ففي الوقت الذي حافظت فيه على مكانتها القيادية غير المنازعة في الجانب العسكري، إلا أن مكانتها تدنت كثيراً في المجال الاقتصادي، ويظهر ذلك بصفة خاصة في مؤشرات مثل العجز المزمن في الميزان التجاري وانتقال موازين الاستثمار المباشر ضد مصلحة الولايات المتحدة، وتدهور القوة النسبية للدولار في مواجهة العملات الأخرى القوية خاصة الين والمارك وتحويل الاحتياطات النقدية الدولية للتقويـــم بهاتيـــن العملتـــين الأخــــيرتـــــين، ويعزى التراجـــع الاقتصادي الأمريكي بطبيعة الحال - إلى سباق التسلح الذي دخلته الولايات المتحدة مباشرة لمواجهة الاتحاد الســوفيتي (السابق) وتحملها وحدها النفقات الاقتصادية الباهظة لهذا التسلح في الوقــت الذي جرى فيه إعفاء حلفائها خاصة اليابان وألمانيا.

إن اليابان تتفوق كثيراً في المجال الاقتصادي ولاسيما مجال القيادة التقانية في القطاع المدني على ألمانيا وكذلك على الولايات المتحدة التي يطالبها اليابانيون الآن أن تكون شريكتهم المساوية وتعترف بحقهم في هذه الوضعية، بل إن هناك أمريكيين يتعاطفون الآن مع المطالبات اليابانية والتجاوب معها، فعلى سبيل المثال دعا أكاديمي من جامعة هــــارفارد هـــو «عزراف فوجل» الأمريكيين إلى مواجهة حقيقـــة تفوق اليابان في ميدان الصناعة والتقانة وتوفر رؤوس الأموال.

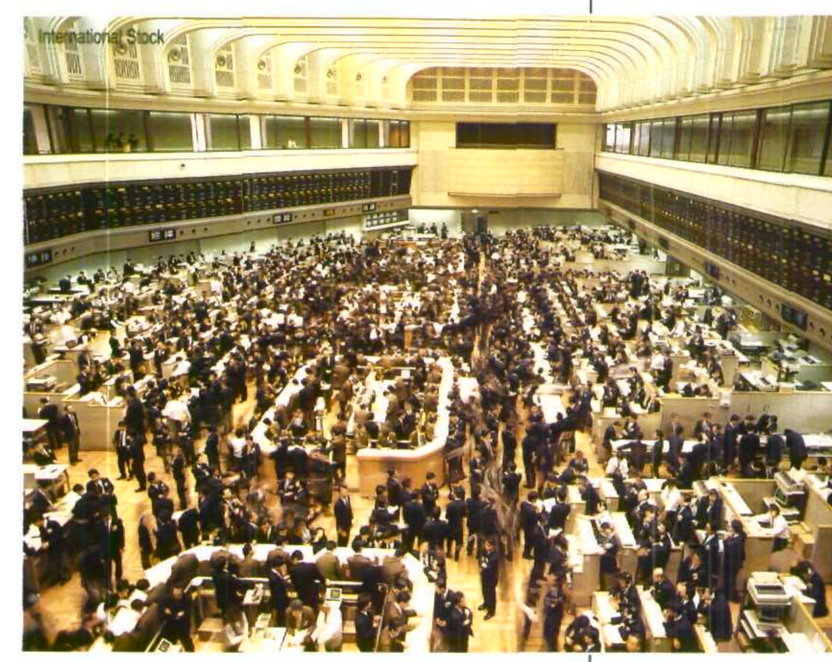
أما ديون أمريكا لليابان فإنها بلغت بحلول هذا العام ١,٣ تريليون دولار، بينما يبلغ إجمالي توظيفات اليابانيين الصافية في الولايات المتحدة ٧٠٠ بليون دولار، ولايستبعد اليابانيون ارتفاع رقم المديونية أكثر حتى لو طرحت منه أرباح فروع الشركات الأمريكية في البلدان الأخرى، إذ إن دفع الفوائد المترتبة عن هذا الدين سوف يشكل عبئاً ضخماً، فاذا كان معدل الفائدة ٦٪ سنوياً فإنه يعادل ١٪ من الزيادة السنوية في الناتج الإجمالي القومي الأمريكي.

وتشـــير دراسة يابانية إلى هبوط حصة الولايات المتحدة الأمريكيــــة مــــن الناتج الإجمالي العالمـــي من ٣٦٪ إلى ٢٣٪ بينمـــا ارتفعـــت حصة اليابان من ٦٪ إلى ١٦٪ خلال العامين ١٩٨٧ - ١٩٨٨م.

وتؤكد دراسات أمريكية أن اليابان أصبحت تملك ثاني أكبر بورصة أوراق مالية بحجم استثمارات تبلغ ٨١٧ مليار دولار، وهي بـذلك تلي بـورصـــة نيويــورك التي يبلغ حجم توظيفها ١,٧ تريليون دولار.

وهناك مؤشرات أخرى على تفوق الاقتصاد الياباني لاتقل أهمية عما سبق، فالناتج القومي في اليابان يبلغ ٣ تريليون دولار أي ما يشكل نسبة ١٣٪ من مجموع الإنتاج العالمي، وتحتل اليابان بذلك المركز الثاني بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وتقدم اليابان معونة رسمية للتنمية تبلغ نسبتها ١٩٪ من كل المعونات التي تقدمها الدول الأعضاء في منظمة التعاون والتنمية، أما قيمة التجارة الخارجية اليابانية فقد بلغت عام ١٩٩٢م نحو ٥٦٢,٧ مليار دولار منها ٣٣٩,٧ مليار دولار صادرات ونحو ٢٢٣ مليار دولار واردات. وتبلغ الأصول الخارجية اليابانية ٢٠٠٠ مليار دولار متفوقة بذلك على الأصول الخارجية الأمريكية البالغة ١٢٦٥,٦ مليار دولار، ومنذ عام ١٩٨٧م أصبحت اليابان فعلياً من أغنى الدول حيث بلغت أصولها المالية والعقارية ٤٣,٧ تريليون دولار، مقابل ٣٦,٢ تريليون دولار للولايات المتحدة.

من جهة ثانية، أصبحت أجهزة الحاسوب ومعدات الاتصالات وأشباه الموصلات والالكترونيات تحتل المرتبة الأولى بعد أن كانت أجهزة التلفاز والمعدات الشخصية هي



تقدمت بورصة اليابان لتكون ثاني أكبر بورصة أوراق مالية بعد بورصة نيويورك بحجم استثمارات بلغت ٨١٧ مليار دولار.

الأولى على قائمة الصناعة اليابانية والتسويق، كما أن صناعة السيارات اليابانية تعد من أهم قطاعات الإنتاج حيث تعمل في مجال هذه الصناعة ١١ شركة تضم نحو ١,٢٧ مليون عامل ووصل إنتاجها من السيارات سنوياً ١١,١٩٩ مليون سيارة عام ١٩٩١م لتحتل بذلك المرتبة الأولى في العالم منذ العام ١٩٨٥م، وفي عام ١٩٩٢م حققت اليابان فائضاً تجارياً قدره ١٣٢,٦٥ مليار دولار.

التقانة:

يعتد اليابانيون كثيراً بتقانتهم ويعتبرونها حصانهم الرابح. وأظهرت دراسات متعددة أن تفوق اليابان في مجال التقانة الرئيسة منحها الفرصة لتلعب دوراً أولياً في محادثات الحد من التسلّح بين واشنطن وموسكو، حين وجد الخبراء الأمريكيون أن تطور التقانة اليابانية من شأنه في نهاية الأمر أن يرغم القوى العظمى على السعي نحو تحقيق الانفراج.

وكان تقرير صدر عن فريق المهمات في مجلس الدفاع العلمي بالبنتاغون عبر عن مخاوف الولايات المتحدة في مجال شبه الموصلات، وهو ما تقرر على أساسه أن اليابان قد سيطرت على التقانة المتقدمة التي تستند إليها القوة العسكرية في الولايات المتحدة.

برزت التقانة اليابانية وتطورت ما بعد الحرب العالمية الثانية باعتبارها مسخَّرة للتنمية الاقتصادية وفي الوقت نفسه تراجع الاهتمام بتنمية التقانة العسكرية، ومن حينها اعتبر اليابانيون التقانة مصدر تفوقهم ورأوا في هذا التفوق مظاهر دور حاسم سوف تلعبه اليابان مستقبلاً. وعلى فترات متتابعة طرح اليابانيون مسألة هذا الدور الحاسم الناتج عن زعامتهم المتقدمة في مجال التقانة العالمية ومدى استخدامه في ميدان السياسة الدولية.

وباستمرار كان لدى اليابان ما تقدمه للعالم، فعلى سبيل المثال هناك الآن مجال التقانة الفائقة لربط الأقاليم الشاسعة داخل الدول أو حول العالم باستخدام أنظمة القطارات الجديدة ذات السرعة الفائقة المعروفة باسم «Mag. Lev» نسبة إلى الارتفاع المغناطيسي Magnetic Levitation. واليابان وألمانيا الغربية هما الدولتان الرائدتان في هذا الحقل، إلا أن اليابان تفوقت في مجالين لهذا النظام هما المجال النظري ومجال اختبار الأداء الفعلي. ويرى اليابانيون أن استغلال هذه التقانة يمكنهم من الاحتفاظ بريادتهم ومواجهة التحديات التقانية، ويصدق الشيء نفسه على تقدمهم المذهل في الآلات والمكائن والأجهزة المنتشرة حول العالم كما أن اليابان تأخذ في اعتبارها استخدام التقانة في تصنيع وتطوير طائرات تجارية نفاثة أسرع من الصوت، وبناء محطات فضائية ومفاعلات نووية.

وقد تم مؤخراً افتتاح ما يقرب من ٣٠ مختبراً للبحوث العلمية المستقبلية تشمل مجالات فائقة التقدم لمواجهة تحديات القرن القادم.

بزوغ نجم المحيط الهادىء:

في رأي كثير من الدارسين أن البعد الإقليمي يمنح اليابان امتيازاً إضافياً وهي تتجه في طريقها لتحقيق وضع الدولة العظمى، فالنواحي التاريخية والفكرية والاقتصادية والتقانية تمنح اليابان فرصة هائلة لتتسيد عصر الهادي، حيث ستصبح اليابان أكثر نضجاً من أمريكا.

وفي مقابل مجموعة التكتلات الاقتصادية التي شهدتها القارة الأوروبية أو منطقة التجارة الحرة بين كل من

الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك فإن اليابان تقود باقتدار كبير التكتل الاقتصادي الذي يضمها مع دول جنوب شرق آسيا.

مقدمات الدور الجديد :

كانت السنوات التي مضت ابتداء من مطلع الثمانينات كافية لتلمس بعض المقدمات الدالة على دور جديد سوف تلعبه اليابان مع مطلع القرن القادم، يأتي في مقدمتها استنفار اليابانيين وقادة الرأي خلفيات اليابان الحضارية ومقوماتها مثل تفوق التقانة وقوة الاقتصاد لدعوة اليابانيين استعداداً للعصر الجديد وأن عليهم أن يصبحوا أكثر انفتاحاً على العالم الخارجي وأن يكونوا أكثر ثقة بالنفس وأكثر اطمئناناً، وحسب دعواهم: «ليس من المطلوب أن نكون متعجرفين أو متغطرسين، ولكن إذا شعرنا بالنقص فلن تكون اليابان المنبع الرئيس للتكوين الجديد. ينبغي لليابانيين من أجل تحمل عبء المسؤوليات الكبرى التي تنتظرهم، أن يبدلوا مواقفهم وصورتهم الذاتية».

وينتظر اليابانيون في الذكرى الخمسين لمنظمة الأمم المتحدة في أكتوبر القادم شطب الفقرة التي وردت في ميثاقها عند صياغته عام ١٩٤٥م التي تنص على أن إيطاليا واليابان وألمانيا هي الدول المسؤولة عن اندلاع الحرب العالمية الثانية، التي أراقت دماء الملايين من البشر، وسيؤدي شطب هذه الفقرة من الميثاق إلى إفساح طريق أوسع لحصول اليابان على عضوية مجلس الأمن الدائمة.

وبتركيز دعوتهم للولايات المتحدة للاعتراف بقوتهم الاقتصادية ودورهم الجديد يرى اليابانيون أن روسيا وأوروبا الشرقية سوف تصبح في نهاية المطاف جزءاً من شبكة اليابان التقانية، كما أن بعض رجال الأعمال اليابانيين ينظرون بطموح كبير إلى الموارد الطبيعية في روسيا وإمكانات التسويق المختزنة في منطقة مثل سيبيريا.

أما الصين فقد اعترفت بقوة اليابان الاقتصادية واختارت أن تسود بينها وبين اليابان روح المودة والتفاهم بالقدر الممكن دون الدخول في أعماق التناقضات الفكرية، كما أن الصين الآن تتبع المسار الذي اتخذته اليابان لتصل إلى مكانتها المتقدمة من حيث القوة الصناعية. وبالنسبة للمجموعة الأوروبية فإنها تسعى لسد الفجوة التقانية التي تفصل بينها وبين اليابان، ويعترض اليابانيون على الاجراءات التي اتخذتها بعض البلدان الأوروبية بطريقة تعسفية ضد المنتوجات اليابانية، كما تطلب اليابان عدم اعتراض بريطانيا أو فرنسا على حضورها في بعض بلدان أوروبا الشرقية.

إن اليابان الآن تكاد تمسك بزمام وضعها العالمي الجديد كقوة عظمى، وتدل جملة المؤشرات الدولية على اقترابها من هذا الدور، وقد مارست منذ منتصف الثمانينات سياسة خارجية لدولة كبرى، وبادرت إلى إعلان اتجاهاتها السياسية الخارجية التي تمثلت في :

أولاً :تأمين السلام والأمن.

ثانياً :احترام الحرية والديمقراطية .

ثالثاً :ضمان توفير الرخاء العالمي من خلال اقتصاديات السوق الحرة.

رابعاً : توفير بيئة صالحة يمكن للبشر أن يحيوا فيها حياة إنسانية .

خامساً : خلق علاقات دولية مستقرة تقوم على الجوار والتعاون. إن هذه الركائز الخمس تمثل رؤية اليابان للنظام العالمي الذي ستسعى إلى تحقيقه.

مما تقدم يعتقد الخبراء أن اليابان ستصبح دولة عظمى ربما على مشارف القرن القادم، كما تؤكد ذلك العديد من الدراسات ، خاصة الدراسات التي صدرت خلال هذا العقد وبالتالي يكون من المحتمل تحول العالم إلى قيادة ثنائية تمثلها الولايات المتحدة واليابان، أو على الأقل سيكون العالم متعدد الأقطاب مع الأخذ في الاعتبار المقومات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية لكل دولة أو مجموعة من الدول.

واليابان بمفردها أو بقيادتها لتكتل آسيوي متنام، تقدم نفسها الأولى بين متساوين ارتكازاً على التقانة والإنتاجية العاليتين وقوتها الاقتصادية المؤثرة، في عالم أصبحت فيه معايير الأداء الاقتصادي الشامل، هي القول الفصل في ترتيب الهرم الدولي الجديد ■

المراجع :

١ - كن يابانياً أصيلاً، سازوا ايديميتسو، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

٢ - «اليابان تقول : لا»، شنيتاروا إيشيهارا، الطبعة الأولى، دار الحمراء للطباعة والنشر ١٩٩٢م.

٣ - اليابان بلاد الشمس المشرقة، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر ١٩٩٤م.

٤ - الصين واليابان والشرق الأقصى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

٥ - القرن الحادي والعشرين، الوعد والوعيد، محمد الخولي، كتاب الهلال ١٩٩٤م.

٦ - ظاهرة الصراع الدولي في عالم ما بعد الحرب الباردة، مجلة السياسة الدولية، يوليو ١٩٩٢م.

٧ - الحرب الباردة : سنوات التحول (١٩٨٠ - ١٩٨٩م) مجلة السياسة الدولية يناير ١٩٩٤م.

٨ - التحدي الياباني في التسعينات، د. حسين شريف، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٣م.

الهوامش :

١ - شينتارو ايشيهارا، نائب في البرلمان الياباني لفترة طويلة، ويعد من الشخصيات البارزة في الحزب الديمقراطي الليبرالي الياباني، مؤلف عدة روايات أدبية نالت جوائز تقديرية في بلاده.

٢ - سازو ايديميتسو، اقتصادي ياباني كبير، وهو مؤسس شركة ايديميتسوكوسان. اهتم بدعوة شعب اليابان إلى استعادة روح السلام والتناغم بعد الحرب العالمية الثانية.

سيكولوجية الألم

بقلم: د. محمد مهدي محمود - العراق

خلال الحرب العالمية الثانية استغرب الأطباء المعالجون، حين وجدوا، أن عددا ليس بالقليل من الجنود الجرحى ينكرون إحساسهم بالألم ويرفضون أخذ المورفين الذي يعطى لهم، وكان هؤلاء الجنود أصحاء جسميا وأسوياء نفسيا وعقليا، وكانوا يؤكدون أن جروحهم، التي كانت بليغة ليست مؤلمة. ودهش الأطباء واستغربوا عند مقارنة جروح هؤلاء بجروح الجنود الآخرين أو بما شاهدوه في حياتهم المدنية من حالات لجروح خفيفة أظهر أصحابها علامات ألم شديد مع عدم القدرة على تحملها.

إن تقارير هؤلاء الأطباء لم تذكر فيما إذا كانت هذه الحالات تقع ضمن مايسمى بعدم الإحساس بالألم الخلقي Congental Sensitivity لكن من الواضح أنها حالات مختلفة، والسبب هو أن هذه التقارير أشارت إلى أن نسبة هؤلاء الجنود تصل إلى واحد من كل ثلاثة من الجرحى، في حين أن عديمي الإحساس بالألم الخلقي نادرين جدا. كما أن هؤلاء الجنود لا يمكن اعتبارهم من الذهانيين الذين لايكترثون بالألم رغم إحساسهم به، لأنهم كما تقدم كانوا من الأسوياء عقليا.

ومن الممكن أن تستدعي حالة هؤلاء الجنود، خبرات الكثير من المتخصصين سواء بالنسبة لأولئك الذين لا يحسون بألم أو الذين يتحملون الكثير من الألم، والناس الذين يشعرون بآلام شديدة من حوادث أو مواقف بسيطة جدا.

معنى الألم:

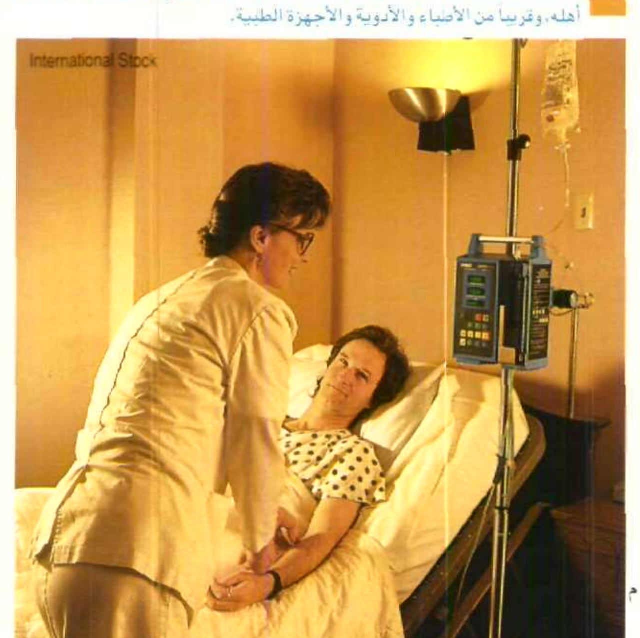
الألم ظاهرة معقدة لكثرة الصور والعوامل الداخلة في تشكيله، لذلك فإن تحديد معناه ليس بالأمر السهل، رغم أن بعض الباحثين يبسط معناه، فيعتبره استجابة مؤلمة لمنبه مؤلم. ولكننا نعرف أن الكثير من الناس يخبرون الألم دون وجود المنبه المؤلم، فقد يستيقظ الفرد من النوم وهو متألم وهو لايعرف سبب هذا الألم وهناك أشخاص يظهرون استجابات مؤلمة لمنبهات غير مؤلمة، بل يعتبرها غيرهم مثيرة للبهجة. فقد يقف أحدهم قرب حديقة عامة أو شارع شق حديثا يعتصر الألم قلبه، لأن المكان كان في السابق بيتاً لعائلته قضى فيه طفولته وله فيه ذكريات جميلة. في حين أن أشخاصاً آخرين يرون المكان جميلاً وأن إنجازه يدعو للفخر والسرور.

ويعد بعض الباحثين الألم جهاز انذار يفيد في إعلام الجسم بالابتعاد عن المنبه المؤلم، أو إعلامه عن مكان الأذى أو التلف في الجسم، والحقيقة أن هذا يحدث في بعض الأحيان ولا يحدث في أحيان أخرى، إذ من الممكن أن يحدث الألم دون حدوث الأذى أو التلف بالجسم وتكون الآلام النفسية خير دليل على ذلك. وقد يحدث الأذى والتلف بالجسم دون حدوث الألم، فقد يجرح الفرد جروحاً بليغة وينزف لفترة ليست قصيرة في أثناء الانفعال الشديد دون أن يشعر أو حتى ينتبه إليها. إن وجهة النظر الأخيرة لا تضيف إلى وصف الألم إلا الوظيفة التي يؤديها.

ويعد بعض الدارسين الألم مجرد إحساس ينتقل بمسار عصبي، لذا ينبغي أن تنصب الدراسة على طبيعة هذا الإحساس وبالذات الانفعال الذي يسببه، وترى وجهة النظر هذه أن للألم والمتعة أساس واحد، وأن الاختلاف بينهما هو في الانفعال وطريقة التعبير عن أي منهما، وبالتالي فالفرد لايخبر المتعة وإنما الشيء الممتع، ولايخبر الألم وإنما الشيء المؤلم، ووجهة النظر هذه تعد الحواس هي التي تقوم بالإحساس وتترجم إشاراته، وهذا في حقيقة الأمر ليس دقيقا. لأن الحواس مجرد أجهزة التقاط للإشارات وليس لها علاقة بالتقويم أو المشاعر.

والصحيح أن الألم ماهو إلا حفزات تحمل إشارات إلى الدماغ لفك شفرتها. وتنصب الدراسات في هذا

قد يتضخم إحساس المريض بالألم نتيجة مكوثه الطويل في المستشفى بعيداً عن أهله، وقريبا من الأطباء والأدوية والأجهزة الطبية.



المجال على الكيفية التي يقوم بها الدماغ بهذا العمل، ونوع الإشارات التي تمثل الألم، وبناء على أية خبرة أو تنظيم سابق يجري فك رموز هذه الإشارات. والمعروف أن الحواس تبعث هذه الحفزات إلى الدماغ، كما أن الدماغ نفسه يبعث لنفسه مثلها، فنحن كثيرا مانشعر بأفكار ومشاعر مؤلمة.

إن من الواضح جدا لدارسي الألم، أن الأمر لا يتعلق بالجانب الحسي الفسيولوجي الارتكاسي (اللاإرادي) بل يتعلق الجزء الكبير منه بالخبرة المدركة التي تتأثر بماضي الفرد، وبالمعنى الذي يعطيه للموقف الذي يحدث فيه الألم وبالحالة الذهنية التي يكون عليها الفرد في تلك الدقائق. إن جميع تلك العوامل تلعب دورا أساسيا في تحديد نمط مستوى الحفزات العصبية التي تذهب من الجسم إلى الدماغ أو تلك التي تنتقل في الدماغ نفسه، والألم في هذه الحالة يصبح وظيفة الإنسان كله، أفكاره الحالية ومخاوفه وآماله في المستقبل، وإن المتغيرات السيكولوجية تشكل الجانب الأساس في خبرة الألم، وبطبيعة الحال لايقصد بالألم هنا الجسمي وحده وإنما النفسي أيضا.

العوامل المؤثرة على تحمّل الألم :

يبدو أن للسمات الشخصية علاقة بمدى تحمل الفرد للألم، فقد بينت الدراسات أن الأفراد الأقل قلقا أكثر تحملا للألم، وعكس ذلك صحيح، حيث تزداد حساسية الأفراد القلقين مما يجعلهم يضخمون من أثر المنبهات المؤلمة التي يتعرضون لها، كما تنخفض القدرة على تحمل الألم عند أولئك الذين يتسمون بالاتكالية والأكثر تقبلا لما يفرضه الآخرون من قرارات، والذين يمتازون بالسلبية وقلة المبادرة في تعاملهم مع الأحداث التي تقع في محيطهم الحياتي، في حين تزداد القدرة على تحمل الألم بين الأفراد المستقلين الذين يتسمون بالحيوية والنشاط في تعاملهم مع الآخرين، وأولئك الذين يوظفون إمكانات محيطهم الاجتماعي لتلبية احتياجاتهم الشخصية.

كما قد يقل الإحساس بالألم من المنبهات المؤلمة عندما تكون دافعية الفرد للأعمال المنضوية ضمنها هذه المنبهات عال، وهذا يفسر لنا عدم إحساسنا بالجروح والرضوض، عندما نكون منغمسين في الأعمال التي نجد لذة في إنجازها، وتلك التي نريد الإسراع في الانتهاء منها، أو إذا توقعنا تعزيزا أو مكافأة تعقب تلك المنبهات وتشبع حاجة ملحة. فقد بينت النتائج الجانبية لتجارب بافلوف Pavlov في نظرية التعلم الشرطي، أن الكلاب التي تتعرض لمنبه مؤلم (صدمة كهربائية) بعد الطعام بهدف إحداث الإقتران الشرطي بين الطعام ومنبه آخر مطلوب من الكلاب تعلمه، كانت هذه الحيوانات بعد انتهاء التجربة تمتنع عن الأكل ويصيبها الجوع رغم عدم وجود الصدمات الكهربائية.

وتشير نتائج التجارب المختبرية إلى وجود علاقة بين مدى استخدام اليد وسيطرتها وإدراك الألم، وفي إحدى هذه التجارب عرضت اليد اليسرى واليمنى إلى مستويات عالية من البرودة والحرارة، فوجد أن مستخدمي اليد اليمنى يتحسسون الألم أكثر في اليد اليسرى، وعكس ذلك صحيح، حيث أن مستخدمي اليد اليسرى يتحسسون الألم بصورة أكبر في اليد اليمنى، وتأيدت هذه النتيجة عند إعادة هذه التجربة باستخدام الصدمات الكهربائية، فظهر أن اليد المسيطرة هي أكثر تحملا للألم من اليد الأخرى، وتشير الملاحظات إلى أن هذه النتائج تنطبق على نوع الأعمال، فالمهن التي تتطلب استخدام اليدين بكثرة وبشكل قاس ويعتمد أصحابها على قوتهم العضلية، أقل تحسسا للألم من أولئك الذين تقتضي أعمالهم نشاطا فكريا وكتابيا فقط.



تشير بعض الدراسات إلى أن العائلات التي تظهر الألم والخوف عند زيارة الأطباء تعكسه على أطفالها وتزيد من خوفهم.

وبينت الدراسات أن هناك علاقة واضحة بين تحمل الألم وتحمل الحرمان الحسي – الذي يعني خفض المدخلات الحسية (البصر والسمع واللمس ..الخ) إلى أدنى حد ممكن – وأن تدريب الأفراد على البقاء لفترات طويلة في بيئات مصممة للعزل الحسي قد رفع الدرجة الفارقة لتحمل الألم، كما أشارت التجارب التي أجريت على صغار الحيوانات إلى نتائج مشابهة، فالحيوانات التي دربت منذ الصغر على أن تعزل حسيا ولفترات طويلة، أظهرت قدرة أكبر على تحمل ألم وخز الإبر والصدمات الكهربائية والتعرض لحروق الجلد، من قريناتها التي لم تتعرض لنفس التجربة.

ويبدو أن تقديرنا لشدة الألم يرتبط بتوقعنا له، فعندما أعطيت للمفحوصين في إحدى التجارب جداول متسلسلة لشدة الصدمات الكهربائية التي يتلقونها ووقت إعطائها، كانت تقديراتهم للألم الناتج عنها أكبر من المجموعة الأخرى التي تلقت ذات الصدمات ولكن بصورة مفاجئة.

كما أن طبيعة الموقف الذي يحدث فيه الألم ومعناه للفرد، وبالذات طبيعة الأدوار التي يلعبها الأشخاص في ذلك الموقف،



الآلام الجسدية التي تصل بالإنسان إلى مرحلة الغيبوبة يمكن أن تزول بالأدوية أو بزوال الأسباب بخلاف الآلام النفسية التي تحتاج إلى فترة علاج طويلة وشاقة.

قد أثرت في مدى تحمل الألم وإظهار علاماته، رغم أنها قد لا تؤثر على مدى إدراكه. وهذا واضح من الأمثلة اليومية التي نلاحظها، فالأب الذي يجرح أمام أطفاله يحاول إخفاء ألمه، ليثبت انطباعا سابقا يتسق مع الدور الذي يقوم به، والأمر ينطبق على تسلسل أنماط السلطة الدينية والسياسية والعسكرية والتربوية، فمن غير المعقول أن يبكي المعلم أمام تلاميذه على سبيل المثال، لأن المقبول أن يبكي الأطفال الصغار أمام معلمهم.

وتؤثر الثقافات المختلفة في خلق اتجاهات وردود أفعال مختلفة نحو طريقة التعبير عن الألم رغم أنها قد لاتؤثر على مدى إدراكه أيضا، ففي المجتمعات ذات السلطة الذكورية كالمجتمعات الريفية مثلا يكون التعبير عن الألم أمام الآخرين غير مقبول ومخجلا في كثير من الأحيان. لذلك ينشأ الأطفال الذكور على إخفاء آلامهم وعدم التعبير عنها ويستمر ذلك إلى الكبر، ففي تجربة اجريتها على طلبة الجامعة، ثبت أن الذكور من أصول ريفية ومازالوا في الريف قد أظهروا مستوى عال من تحمل الألم مقارنة بأقرانهم من أهل المدن.

الآثار التي تتركها العزلة المؤلمة :

إن الدراسات التي تناولت تأثير الحرمان الحسي، حيث يوضع الأفراد في غرف انفرادية صممت من أجل تخفيض المنبهات إلى أقصى حد ممكن، تبين أن هذه الآلام قد تؤدي إلى احتمال ظهور الهلوسة وفقدان التركيز وتدهور السلوك العقلي والانفعالي.

أما العزلة الاجتماعية - حيث ينخفض التفاعل بين الإنسان وبني جنسه - خاصة إذا استمرت لفترة طويلة، فإنها تؤدي إلى الشعور باليأس وفقدان المبادرة تجاه أبسط الأمور مثل تناول الطعام أو الغسل ... الخ إضافة إلى فقدان الشهية وعدم النوم والإمساك، كما تعاني النساء في مثل هذه الظروف ارتباكا في الدورة الشهرية، كما أن العزلة الاجتماعية لفترة طويلة جدا قد تقود الأفراد إلى الإحساس باللاواقع، والشعور بأنهم محاطون بمجموعة من الأشباح، ولكن الأمر ليس مطلقا بطبيعة الحال، فقد كشفت بعض الدراسات أن الذكاء والجوانب الشخصية للأفراد عامل مهم في مثل هذه المواقف. فالأشخاص الذين تعلموا الاعتدال وتدربوا على ضبط عواطفهم استطاعوا التكيف مع الأوضاع المؤلمة.

وقد أكدت الدراسات التي أجريت على العزل تحت الماء أن الضغط العالي ونقص الضوء والبرودة، واحتمال تنفس النيتروجين تحت ظروف الضغط - قد يؤدي إلى الخدر بالنيتروجين - أو مايسمى بـ« طرب الأعماق » ورغم اختلاف الأفراد فيما بينهم في حدوث هذه الحالة إلا أنه بصورة عامة، وتحت عمق ٣٠ متراً يشعر الغواصون بالخفة والاندفاع والنسيان وعدم الحذر، كما لو أنهم تحت تأثير مخدّر ما، وقد يفقد الإنسان وعيه تحت عمق ١٣٠ مترا.

أما التجارب المختبرية لدراسة الأفراد الذين من المحتمل أن يقوموا بالرحلات الفضائية أو الدراسات التي تناولت هؤلاء بعد قيامهم بهذه الرحلات، فقد أشارت أغلبها إلى التوتر الدائم ومايعانيه هؤلاء الرواد عند دخولهم إلى مدار الأرض والهبوط من الألم بسبب تأثير الجهاز العصبي المركزي.

كما بينت الدراسات التى أجريت على الذين يعملون في القطب المتجمد (وهو شكل من أشكال العزلة) حيث تنخفض درجة الحرارة مابين ٢٠ - ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر - ظهور توتر حاد لعدد كبير منهم، إضافة إلى مايسمى باللاقدرة النفسية، والقلق وعدم الاستقرار والميل إلى الكسل وعدم الانسجام مع الآخرين.

إن لكل فرد حداً معيناً لدرجة تحمل الألم ترتبط بالعوامل التي تقدمت وعوامل أخرى مثل عمر الفرد وجنسه ومستوى

تعليمه وطبيعة الموقف الذي يجد فيه الفرد نفسه.. الخ كما أن هناك فرقا واضحا بين مدى إظهار الألم ومدى إدراكه، والأكثر أهمية هو الاختلاف في درجة تحمل الألم الجسمي والألم النفسي عند الفرد الواحد. إلا أنه من الواضح أن الآلام الجسمية حتى الحادة منها التي يصل فيها الإنسان لمرحلة الغيبوبة، يستطيع الجسم تحملها بمجرد زوال المسببات أو تخفيفها من خلال المسكنات، إلا أن الآلام النفسية الحادة التي تأتي من الشعور بالذنب أو الإحساس بالدونية أو النقص وقلة القيمة والعار..الخ لايستطيع الكثير من الناس تحملها -خاصة أولئك الذين يتمتعون برهافة الحس - مما قد يؤدي إلى أعراض وآلام جسمية من غير أن يكون لها سبب عضوي، مثل العمى الهستيري أو الصمم أو انسداد البلعوم.. الخ وهذه الاستجابة في جوهرها آليّة دفاعية تعمل لوقاية الذات، واستبعاد التوترات النفسية المضنية، فالشاب الفزع الذي يفقد قدرته على الوقوف والمشي لأن رجليه تؤلمانه يتمكّن من تأجيل برنامج الزفاف الذي لا يكون مستعدا جسديا له. وفي مثل هذه المواقف، يقي المريض نفسه من خبرة مروعة عند ظهور حالة تسمح له بالتخلص المؤقت من الألم النفسي ولكن بتحويله إلى ألم أو اضطراب جسمي.

الألم خبرة مكتسبة :

يرجع سبب الاختلاف بين الأفراد في مدى تحمل الألم إلى أن جزءا من الألم مكتسب كما تشير إلى ذلك الدراسات . ففي إحداها أريد معرفة الأسباب التي يظهر بها بعض الأطفال مظاهر أكبر من الألم عند معالجة الأسنان. وأشارت النتائج بشكل واضح أن الأطفال الذين تظهر عائلاتهم وعلى الأخص أمهاتهم مخاوف أكبر من أطباء الأسنان ، كان أطفالهم يحسون بالألم أكبر من أقرانهم الذين لم تظهر عائلاتهم مثل هذه المخاوف ، وفي دراسة أخرى ربيت فيها مجموعة من الكلاب حتى سن النضج في أقفاص بشكل منفرد ومعزولة كليا كانت تلك الكلاب لاتستجيب بالشكل الطبيعي للمنبهات المؤلمة، مثل الصدمات الكهربائية أو المحرقة. وكانت إحدى النتائج المثيرة لسلوك هذه الكلاب ، أن سبعة من عشرة منها أظهرت تحملا عاليا للألم مثل وضع الأنف فى النار، كما أنها لم تنتبه للتلف الذي يحصل لأنسجتها أثناء التجربة، رغم أن الفحص الذي أجرى لأنسجتها الحية قبل التجربة أثبت أنها كانت طبيعية ولا تختلف عن أجهزة الحيوانات الأخرى المشابهة لها.

إن الشواهد الكثيرة الملاحظة في خبرات الناس تشير إلى أن جزءا من الألم مكتسب مما يجعل الاختلاف واضحاً في تحمله، وقد يكون مثله مثل الإحساس بآلام الآخرين عندما نوقعه عليهم ، ورغم أن هذا الجانب ليس له علاقة مباشرة بالألم إلا أن التجارب التي تناولته فسرت جانبا مهما من السلوك الإجرامي والعقابي إلى حد ما ، فقد لاحظ القائمون على التجارب التي تناولت الألم أن الأفراد الذين يوجهون الصدمات الكهربائية للمفحوصين في هذه التجارب، يقل إدراكهم لمقدار الألم الذي تشعر به الضحية، كلما زاد مقدار أو عدد المرات التي يوجهون بها الصدمات الكهربائية.

قياس الألم :

يعتمد قياس الألم على ردود فعل المتألم التي يمكن إدراكها من خلال التعبير اللفظي، أي ما يحدثنا به المتألم، وكذلك من مدى طلبه للمسكنات والتعبيرات الجسمية الظاهرة، مثل الانعكاسات الارتكاسية التي تسمى بالاستجابات غير الإرادية مثل الصراخ ، كما يعتمد على التغيرات الفسيولوجية مثل تغير دقات القلب وضغط الدم والتعرق وإفراز الهرمونات كما يمكن استخدام الأدوات التي تقيس التغيرات في الجهاز العصبي ، مثل قياس النشاط الكهربي تحت الجلد .. الخ .

ورغم كثرة المؤشرات التي نستدل منها على الدرجة التي تشير إلى شدة الألم، إلا أن هناك صعوبات أساسية تقلل من دقة هذا القياس ، من بينها أننا لانستطيع الحصول على استجابة نقية للألم عن منبه مؤلم واحد، فالمريض قد لايكون ألمه ناتج عن المرض وحده وإنما عن طبيعة الموقف الذي هو فيه ، كأن يكون المريض راقدا في المستشفى وما يحيط به من أطباء وممرضات وأدوات طبية وانتظاره لعملية وبعده عن أهله ...الخ حتى الدراسات المختبرية التي تهدف إلى عزل العوامل الدخيلة المرتبطة بألم ما والتي يعتقد القائمون عليها، بأنهم عن طريق عزلها يحصلون على ردود فعل نقية للإحساس بالألم، يواجهون صعوبات أخرى تقلل من دقة القياس، ولعل أولها: أن القائمين على هذه التجارب ولأسباب أخلاقية وعملية لا يستطيعون إلا توجيه مستويات منخفضة من المنبهات المؤلمة، وتبقى المستويات العليا من الألم عصية على التجريب في المختبر، وثانيهما: أن الخاضعين لهذه التجارب تستثار عندهم مايعرف باستجابة المرغوبية الاجتماعية، فقد يتصرفون بمستوى أعلى من التحمل نتيجة وجودهم في الموقف التجريبي ، ووجود الباحث الملاحظ لاستجابتهم. أو قد يبالغون في إظهار الألم وذلك بسبب حالة القلق التي تخيم على المفحوص، خلال فترة التجربة، التي يتخللها الانتظار ورهبة المكان، وكذلك ربط الأسلاك بأجهزة القياس ، التي تجعله أكثر خوفا فيتضخم الإحساس بالألم. إلا أن كل هذه المشاكل لن تمنع من الوصول إلى نتائج معقولة لدراسة الألم ■

المصادر:

1. Bakal, A. Donald, Psychology and Medicine, 1980.
2. Sternbach, A Richard, Pain Apsychophysiological Analysis, 1968.
3. Trigy, B. Pain an Emotion, 1970.

(تاما نيجارا)

أكبر المحميات الطبيعية في ماليزيا

استطلاع وتصوير: أحمد إبراهيم البوق
المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية - الطائف

منذ آلاف السنين تتفجر الينابيع الصغيرة في أعالي الجبال، ثم تتجمع في غدران أكبر لتشكل شريان الحياة في الغابة، والسبيل الوحيد للوصول إلى مكنوناتها هو زيارتها وقراءة تفاصيل الحياة فيها فالعلاقة التي تربط بين النهر والغابة علاقة أزلية، فالأشجار كالأطفال، وماء النهر حليب الأم الذي يغذيها.



كـــل شيء هنـا في غـابـات تامـانيجـارا كما خلقـه الله منـذ مـلايين السنين، حتى السكـان الأصليين Orange Asli كما يسميهم الماليـزيـون عـلى فطرتهم وبـدائيتهم منـذ الأزل، تكيفـوا مـع إيقاع الغـابة وأصبحـوا جزءاً من نسيجهـا، فكيف وصلت إلينا تلك الغـابات، ومـا هـي مفاتيـح الدخـول إليهـا ؟

كانـت تلك الزيـارة هي الثـانيـة لمحميـة تامـانيجارا خـلال عامين، والطـريق إليهـا من العـاصمـة الماليـزيـة «كـوالالمبـور» يستغـرق ثـلاث ساعـات بالسيـارة عبر الطريق السريعة رقم (٢) المتجهـة صـوب شمـال شـرق العاصمـة، وعند مفـرق تمرلـوه Temerluh ينبغي التـوجـه شمالاً إلى مـدينـة جيرانتوت Jerantut .



كـان الوقت منتصف أغسطـس وحرارة الطقس محتملـة، فأشجـار الغابـات تزيـد من رطـوبة الهواء وتلطفـه، ولم تكن الشمس قـد انحدرت بعـد خلف تـلال الغـابة حين وصلنـا إلى مدينة جيرانتوت، وعلينا قضاء الليلة في أحد فنادقها، فالطريق إلى وسط المحمية لايمكن عبورهـا بغير القوارب النهرية، التي تتحرك في مـوعدين: التـاسعة صبـاحاً والثـانية بعـد الظهر، وصديقي الـذي التقيته صـدفة في العاصمـة كان متخـوفاً من دخول الغـابة ومن وحـوشها المفترسـة، ضحكت في نفسي لأن تلك الأمنيـة يصعب تحقيقهـا، فبـالـرغم من أن الغـابـات الاستـوائيـة أثرى منـاطق التنـوع الأحيـائي في العـالم فمن الصعب رؤيـة الحيوانـات الكبيرة، لأن كثافة الأشجار تشكل حاجـزاً بين مرتادي الغابـة وتلك الحيـوانات، ومع ذلك فهناك الكثير مما يمكن الاستمتـاع بـه في الغابات الاستوائية.

في فجـر اليـوم التـالي كانت الشمس ترتفع ببطء خلف تلال الغـابة وضباب صبـاحي يشتت خيـوط النـور فـوق الأشجـار والطريق الضيقة من مدينة جيرانتـوت إلى قـريـة تيمبلنـج Tembling المتجـه شمالاً يستغـرق قطعها نصف سـاعة. رغم أن المسافـة لاتتجاوز ٢٠ كيلو متراً، وفي الأخيرة يقع مركـز القوارب النهـرية، ومن هنـا علينا التخلي عـن السيارة واستئجـار قـارب نهري يتسع لاثني عشر راكبـاً، ليبحـر بنـا عكس تيار الماء مسـافة ٦٠ كيلو متراً لمركز المحميـة في تاهان Tahan والرحلة تستغرق حوالي ثلاث ساعات خلال نهر أخضر كالـزمرد تحرس ضفـافه الأشجـار وتنتشر على امتداد البصر، فشبه الجزيرة الماليزية تحتوي على ما يقارب ٨٥٠٠ نوع من النباتات الزهرية، في حين أن جزيرة بورنيو قد تحتوي على أكثر من ١١٠٠٠ نوع من النباتات معظمها يقع في غابات السرواك والصـاج الماليـزيتين، وقد سجل في تلك الغـابـات بعض أوراق النبـاتـات – من نـوع الـوكـاسيـا مـاكـرورهيـزا Alocasis macrorrhiza يصل طولها إلى ثلاثة أمتار وعرضها ١,٩ متر.

وتنقسم الغابات الماليزية إلى خمسة أنواع :

١ – غابات الشورى على سـواحل البحر وتختلط بأشجار النيبي Mangrove and nipe forests .

أرامكو السعودية

٢ - غـابات البحـــيرات العذبـــة والمستنقـــعـــات Swamp Forests

٣ - غابات أشجار البذور المجنحة Dipterocarp Forests

٤ - غابات المروج Heath Forests

٥ - الغابات الجبلية Mountain Forests

وغابـات محمية تامانيجـارا تقع في نطاق غابـات أشجار البذور المجنحـة، ومعظم الأشجار الطويلة تصل في ارتفـاعها إلى ٦٠ متراً وغالبـاً تتبع عـائلة Dipteracarpaceae (١)، وتشكل الأشجار التي تتبع هذه العائلة ثلث أنواع الأشجار في الغابـات الاستوائية المنخفضـة في ماليزيـا(٢)، وتسمى هذه الغابـات دبيتراكارب بالـلاتينية Di ،Diptera Carp تعني ثنائي و Ptera تعني جنـــاح و Carp تعني بـذور، أي غابـات البـذور المجنحة الثنـائية، وتحتـوي ثمار هذه الأشجـار على أجنحة ثنـائية تسـاعدهـا على الانتشار عنـد هبوب الـرياح، وهنـاك بعض الاستثناءات في الطبيعـة لنفس الأنـواع، ولهذه الأشجـار عصـارات تقـاوم إصابتهـا بـالأمـراض البكتيريـة والفطـريـة والحشرات، وقـد جمعـت هـذه العصـارة وأرسلت لأوروبا لاستخدامها في صناعة الـدهانات، وقبل الكهرباء كان السكـان الأصليون في مـاليزيـا يخلطون نفس العصـارة، التي تسمى محلياً دامار Damar، بالخشب لتعطي ضوءاً. وما زالت تستخـدم في المنـاطق النـــائيـة لمنع تسرب الماء إلى القـوارب، وتخلو النباتات من حلقات النمـو السنوي الشائعة في نباتات المناطق الجافـة التي تلاحظ عند قطع الجذوع بوضـوح، لعدم وجود مواسم محدده للنمو وتقدر أعمار بعض الأشجار بمئات السنين، وهي تنمو لارتفاعات عالية لتحصل على أكبر قدر من الضوء لأن أسفل الغابة لايحصل إلا على ١ - ٢٪ من الضوء الذي يتوزع على أعلى الغابـة، أما النمو البطيء لهذه الأشجار فهو بسبب كثافة الحشرات والفطريات التي تحد من تكاثرها، وتحتوي النباتات الاستوائية على مواد كيميائية مرة أو سامة لتحمي نفسهـا من الحيـوانـات التي تتغـذى عليهـا بكثـرة، وتستخـدم معظمها طبيـاً، ولعل أكثـر مـا يلفت الانتباه عنـد الدخـول للغابة هو تلك الجذور المتفـرعة من قواعـد الأشجار لتشكل مساحة كبيرة عند قاعدة كل شجرة ضخمة، وتقوم هذه الجذوربدور الدعامات للكتلة الخضراء في أعلى الشجرة(١).

وفي أثنـاء عبور النهـر نحو مـركز المحميـة قد تصادفـك



طيــور أبو منجل Horn bill المتميـزة في طريقـة طيرانها المتمــــوجــــة، وطيـور ملك الصيـادين King Fishers بألوانها الـزاهيـة، ومنها ثـلاثـة أنواع في المحمية (٢) وقد سجل حوالي ٢٥٠ نوعاً من الطيـور المستوطنـة والمهــاجــرة التي تعبر المحمية، وأفضل أوقـات مراقبتهـا من سبتمبر إلى مارس (٣)، ورغم كثـافة التنـوع الحيـواني في غابـة تـامانيجـارا فإن من الصعب رؤية الثدييات الكبيرة لكثـافة الأشجار، ففي المحمية الأفيال الآسيـوية، ووحيد القرن السـومطري النادر، والتـابر Tapir والنمور. وأنواع عديدة من القرود أكثرها شيوعـــاً قرود المكاك طويل الذيل Long Tailed Macaques الذي قـــد يشاهــد في مسارب الغابة، أما قرود الجابون Gibbon فغالباً مـا يسمــع صــوتها المميـز الـذي يشبـه تـرديـده (صـدى الأصـوات) في وسط الغابة، أما دببة العسل Honey Beers أو كما تسمـى بـدببة الشمس The Sun Beers وهي مــن نوع Helarctos malayanus فهي نادراً ما تشاهـد فـي الغابـــة، ولهـا لسـان طـويل يساعدهـــا في لـعـق النمــــل من جحوره، وهو النوع الوحيـد من الدببة في ماليزيـا، وهناك خمسة أنواع من الأيائل، اثنـان منها شـائعان في المحمية أكبرهـا حجماً هو أيل سامبار Sambar Beer ويسمى محلياً بأيل روسا Rusa Beer وهو ينتمي لنوع Cervus Unicolor وهو يفضل العيش في أطراف الغـابة وحواف الأنهار حيث يتغـذى على الأعشاب والحشائش (١). وفي الغابة مساقط للمياه ومناطق للسباحة وصيد الأسماك النهرية ومطلات جبلية يصعب الوصول إليها خاصة تحت ظروف الرطوبة العالية التي قد تزيد على ٩٠٪، وتهطل على غـابات تـامانيجـارا - التي تمتـد مساحتهـا إلى ٤٣٤٣ كيلـو مترا مربعـاً - أمطـار شتـوية بمعـدل يصل في أقصـاه إلى ٣٨٠٠ ملم، ممـا يؤدي إلى اغلاق أبـواب المحمية بسبب ارتفـاع منسوب ميـاه النهـر من منتصف شهر نـوفمبر



حتــى منتصــــف شهر ينـــايـر، وتتغير درجـــة الحرارة بشكـل طفيــف طوال العـام وهي حوالي ٢٦ مئـويـــة في وسط النهــار، و٢٢ مئـويـة خــلال الليل، ويخطىء من يعتقد أن ليل الغابات هادىء، فهناك حيوانات كثيرة جـداً تنشـط ليـلاً وتشكل أصواتها المختلطة ضجيجاً له نكهة الطبيعـــة.

قضــينــا في جولتنـا يـومـاً جميلاً وممتعـاً، وقــررنا أن نختمها بزيـارة لموقع السكان الأصليين The Orange Asli وهؤلاء في الأساس يعيشون حياة بدائية، يتحركون عراة حفاة وسط الغـابة، يصطـادون القرود والأيـائل والخنازيـر البرية بـآلتهم الشهيرة (القصبـة - Blow Pipe) التـي يتم وضـع سهـام مسممة فيهـا تنفخ على الحيـوان المراد صيده فترديـه قتيـلاً في دقــائق، ويجتمعـون على أكل طــرائدهم ويعيشـون ويتنقلون في جماعات صغيرة، ولعل أكثر ما يستثير دهشتنا من حيـاة هـؤلاء البـدائيين أنهم يحثّـون أطفـالهم على التـدخين لارتبـاط التــدخين حسب اعتقـادهم بطــرد الحشرات، ففي رحـــلات الصيـــد يأخــذون أطفـــالهم معهم، وحين يهاجمهم البعوض فإن أصوات قتل البعوض على أجسادهم من الممكن أن يفـزع الطرائد أو تنبههـا، لذلـك فالتـدخين خير وسيلة لطــرد البعوض والاحتفاظ بهدوء المكان، ولهؤلاء النـاس لغة خاصة بهم غير مكتـوبة وليس لهم ديـانة محددة، وفي المسـاء قبل أن يكلل سماء الغابـة لون رمادي مـائل للسواد كان علينـا قضاء الليلة في أحد المنتجعات القريبة من مركز المحمية وهي مجهزة بشكل جيد، وقبل أن تبدد شمس الصباح ضباب الغابات ركبنا القوارب النهرية لتنقلنا باتجاه مصب الأنهار، عبر أربعة عشر نظامـاً نهرياً تتخلـل المحمية كشرايين الحيـاة، وأخيراً ودعنا أقـدم غابـات العـالم متجهين إلى مطـار العاصمـة الماليـزيـة كـوالالمبور لننتقل إلى عـوالم الطبيعــة المدهشـة فـي منـاطق أخرى من كوكبنا الأخضر ■

المراجع:

1 - Wild Malaysia. The Wild Life and Scenery of Peninsular, Malaysia. Sarawak and Sabah, Photographs by Cubett. Text by Junaidi Payne. W.W.F. 1994.

2 - The Illustrated Guide in the Kuala Tahan Region of *Tamannegara*. Department of Wild Life and National Parks. Peninsular Malaysia. 1989.

3 - Insight Guides. South East Asia Wild Life. APA Publications. 1991.

تجارب في فن الكتابة

بقلم الأستاذ: ياسر الفهد - سورية

الكاتب وحده خير من يكتب عن الكتابة، وكل مايتفرع عنها أو يمت لها بصلة. وعندما يكتب الكاتب من خلال تجربته الذاتية وخبرته الخاصة، فانه يزود القارىء بملامح جديدة لا تزوده بها الكتابات التقليدية. إن الكتابة فن جميل وعظيم، وهي من أبرز وسائل الاتصال والتواصل. ومن المفارقات الطريفة المتعلقة بالكتابة أن الجهد والوقت اللذين يتصور بعض القراء أن الكاتب قد بذلهما وكرسهما لها، لايمكن أن يقاسا بحال من الأحوال مع الجهد والوقت الحقيقيين. وهذه حقيقة لا يدركها كل الادراك إلا من مارس الكتابة بالفعل وامتطى جوادها الجامح العنيد وكابد صعوباتها التي لا تقع تحت حصر.

إن الكاتب الحقيقي ينحت من صخر؛ يفكر كثيرا ويتأمل طويلا قبل أن يكتب قليلا. يحتاج إلى أفكار، وغالبا مايقضي ساعات في البحث عنها قبل أن تتولد في ذهنه. وقد يضطر للرجوع إلى مصادر صعبة المنال وبعيدة عن تناول اليد. وبعد ترتيب الأفكار ثم ربطها وصياغتها بلغة سليمة قد يعيد الكاتب كتابة ما كتبه مثنى وثلاث ورباع وخماس. وهو في ذلك كله يبذل من الجهد والوقت الكثير الكثير قبل أن يرى مقاله النور. وعندما يقرأ القارىء حصيلة جهد الكاتب، فإنه لايمكن بشكل من الأشكال، مهما كان مثقفا وحاذقا، أن يقدر هذا الجهد تقديرا صحيحا وواقعيا، إلا إذا كان القارىء نفسه كاتبا. ولهذه المفارقة مثيلاتها في مجال تأليف الكتب ونشرها. فالمؤلف يبذل في تأليف الكتاب ثم نشره، أضعاف أضعاف مايتوقعه القارىء. فهناك عملية التأليف الشاقة والطويلة التي قد تكلف الكاتب سنوات من الجهد والعرق. وبعد دفع مادة الكتاب إلى المطبعة يأتي تدقيق ومراجعة المسودات ومتابعة الطباعة. وعند صدور الكتاب بصفحاته المتواضعة نجد أن تقويم القارىء لجهد الكاتب هو دائما أقل من التقويم الحقيقي.

ومن المفارقات الطريفة الأخرى في مجال الكتابة والترجمة، إن الكتابة إذا كانت صعبة فإن الأخيرة كثيرا ماتكون أكثر صعوبة من الأولى!

والممارس الذي يعرف أسرار الترجمة وبواطنها العميقة يدرك هذه الحقيقة جيدا. فالكاتب عندما يكتب، إنما يسير في طريق مضيئة مألوفة، وهو قادر على اختيار افكاره وتكييف جمله وفقا لهذه الأفكار. أما المترجم فإنه كثيرا ما يتخبط في ظلام ويقتحم دروبا لا تخلو من المفاجآت. وقد تواجهه أحيانا مفردات ومصطلحات لايجد لها معنى في أي قاموس من القواميس أو أي مرجع من المراجع، ولا حتى لدى أصحاب الخبرة والاختصاص. وهو إزاء هذا الموقف الحساس الصعب ليس أمامه سوى الاجتهاد والاستنتاج. وكثيرا مايكون المعنى غامضا بحيث يصبح الاستنتاج معه مجازفة، وقد يؤدي ذلك إلى فشل الترجمة كلها. ولاشك أن ترجمة الكتب أصعب من ترجمة المقالات،

لأنها تستلزم تقيدا صارما بالنص الأصلي، ومجال التصرف فيها أضيق بكثير مما هو في ترجمة المقال الذي يستطيع مترجمه في بعض الحالات أن يعده إعدادا، أو أن يلخصه ، أو أن يترجمه بتصرف.

خلاصة القول أن الترجمة ، على الرغم من كونها تحتل درجة أدنى مما تحتله الكتابة في سلم التقويم الإبداعي ، فإنها في بعض الحالات تكون أصعب من الكتابة.

وبعد عرض المفارقات الطريفة السابقة، ننتقل إلى ظواهر أخرى تتعلق بقيمة الكتابة. فإذا افترضنا أن هناك سلما إبداعيا للكتابة، فهل يمكن أن نرتب الاشكال الكتابية ترتيبا صحيحا وفقا لقيمتها ضمن هذا السلم؟

إن هذا أمر صعب . وحتى لو قلنا أن الكتابة الإبداعية تأتي في الدرجة الأولى، وتحليل الكتب في الدرجة الثانية، والترجمة في الدرجة الثالثة، فإننا لانحل المشكلة، لأن الكتابة تتضمن أشكالا عديدة تتفاوت وتتداخل في أهميتها ولايمكن تقويمها حسب شكلها فقط.

ويعتقد كثير من النقاد أن أكثر الأعمال الكتابية إبداعية القصة والمسرحية والقصيدة والنثر الأدبي، ولكن هل معنى ذلك أن هذه الفنون أكثر أهمية من البحث العلمي والدراسة،مثلا؟

إن هذا يقودنا إلى مسألة أخرى هي: هل علينا أن نقوِّم العمل الكتابي وفقا لمدى إبداعيته ، أم مدى فائدته ، أم مدى جدته، أم مدى الجهد المبذول فيه؟

ليس هناك اتفاق عام على مقياس معين في هذا المجال. وفي رأينا أن الكتابة يجب أن تقوَّم بمقدار ماتقدم إلى القارىء من مادة جديدة مفيدة، مهما كان شكل هذه الكتابة.

فالكتابات التي تعتمد على تسجيل تجارب الكاتب الذاتية وخلاصة خبرته وعصارة قراءاته السابقة، مفيدة، لأنها تزود القارىء بمادة جديدة لم يطلع عليها في السابق. والكتابات التي تعتمد على البحث الجاد والتجريب العلمي مفيدة ، لأنها تزودنا بنتائج جديدة لم يسبق أن ظهرت من قبل . وذلك خلافا للكتابات التقليدية التي تعتمد على مصادر وأعمال قديمة، دون أن تضيف معلومات جديدة.

وهناك الكتابات المتمثلة بعرض الكتب الأجنبية، وتكمن فائدتها في كونها تقدم للقارىء زبدة الثقافات المتقدمة وأحدث التطورات في مختلف ميادين المعرفة. وتزداد الفائدة منها بالطبع عندما يقترن العرض بالتحليل والنقد والتعقيب. وفي هذه الحالة يطلع القارىء على رأي المؤلف الأجنبي ورأي محلل الكتاب في آن واحد ، خلافا للترجمة أو الكتابة الإبداعية التي لايطلع القارىء فيها سوى على رأي المؤلف الأصلي.

كما أن هناك الكتابات الخاصة بالأعلام والعظماء، وهي مفيدة لأنها تعرِّف القراء بخلاصات أفكار المفكرين والأدباء والقادة والرجال البارزين. ولكن فائدتها الحقيقية تظهر عندما تقترن الكتابة عن العَلَم بالمناقشة والتحليل والموازنة، أما عندما يكتفى بسيرة *العالم* وحياته فإن المقال يكون تقليديا ومكررا، لأن الموسوعات والكتب المدرسية تزخر بالحديث عن الأعلام وسيرهم الذاتية.

وتتحقق الفائدة القصوى من مقالات الأعلام، عندما يكون كاتب المقال على صلة بالعَلَمْ ويعرفه معرفة شخصية، فهذا يتيح له الاطلاع على أفكاره ومنجزاته عن كثب.

ونأتي الآن إلى الكلمة القصيرة . إذ أن هناك جدلا حول قيمتها بالنسبة إلى الدراسة المطولة التي تتضمن معلومات وحقائق واستنتاجات أكثر وأعمق مما تتضمنه الكلمة القصيرة. ولكن علينا أن نلاحظ أن القراء الذين يقبلون على مثل هذه الكلمة يشكلون قاعدة عريضة من مختلف الأذواق والمستويات، بفضل سهولتها وسرعة تمثلها ، فهي تزودنا بفكرة أو معلومة أو حكمة، يلتقطها الذهن ويستوعبها خلال فترة قصيرة جدا.

أمـا الدراسـة المطولـة، فـإن حجم قـاعدة قـرائها أضيق لأن المفكـرين ونخبـة المثقفيـن هـم وحـدهم الأكثـر اهتمامـا بهـا وإقبـالا عليهـا. وهكـذا فإن الكلمة القصيرة، وإن كانـت أقـل قيمة من الدراسـة المفصلـة ، أكبر متعة وأكثر جذبا للقراء.

عناصر مهمة :

هناك عنـاصر عديـدة تتدخل في جعل العمـل الكتابي قيما ومفيدا للقارىء. ونستطيع القـول أن من بين أهم هذه العناصر الجدة والوضوح وصحة المعلومات. فالكتابات التي تكرر مادة مقـولبة سبق ورودهـا في الكتب أو الـدوريـات أو الموسوعـات لاتشكل عملا إبداعيا مفيـدا ولاتعدو كونها مجرد حشو يقصد منه ملء الصفحات وتكبير المقالات.

ونحن هنا نعترض على إيراد المادة القديمة كما هي ، ولكن الحال يختلف عنـدما يستنـد الكـاتب إلى هذه المادة ليـؤسس عليها معتمـدا على التحليل والاستنتاج ، ومضيفـا من خبرته الشخصية وثقافته الذاتية.

وهـذا الأمر يسـوقنـا إلى موضـوع الـوضوح والغمـوض. فالكـاتب الذي يقوم بتجميع معلـومات وأفكار من هنـا وهناك لينسج منها في النهاية مقالا، قد لاينجح في ربط هذه الأفكار مع بعضها بعض، مما ينجم عن ذلك الغموض.

أمـا عنـدما يتمثـل الكاتـب المعلومـات ويفهمها ثم يبدأ بصياغة وكتـابة مقال بالاستنـاد إلى هـذه المعلومات، فإن مقـالـه يأتي واضحـا ومتماسكـا، ولاسيما إذا كـان يكتب ضمن مجال اختصـاصـه وخبرتـه. وبتعبير آخـر فإن الكـاتب عندمـا يكون مـدركا معنى مـايكتب إدراكا كـاملا، فإنـه يكتب بطريقة تجعل القـارىءيفهم مايقرأ. أما عنـدما يكتب الكاتب خارج نطـاق معرفتـه، أو بطريقـة تجميع المعلـومات من هـذا المصدر أو ذاك ثم يستخـرج مقالا منهـا فإن مقالـه يأتي غامضا وممسوخا.

ونأتي الآن إلى عنصر صحـة المعلـومـات. فبعض الكتـاب يكتبـون أشيـاء جميلة ويعجـب بهـا القـارىء أيما إعجـاب ويلتهمها التهـامـا ، ولكن بعض المعلـومـات فيها قـد تكـون غيـر صحيحـة أو غيـر دقيقة. وهـذا ينتج عنه ضرر كبـير ، لأن الخطـأ في المعلومـات الذي انتـقـل مـن الكاتب إلى القارىء، يمكن أن ينتقل مـن الـقـارىء إلى غيـره مـن النـاس. وعلينـا أن نستـذكـر دائما أن ليس كل مانقـرأه صحيحـاً وسليماً ودقيقاً ، ولاسيما عنـدمـا يتعلق الأمـر بالأرقـام والإحصاءات. فهناك في الكتـابات المختلفـة أخطاء وتشـويهات ، بعضهـا متعمـد بهدف الـدعـايـة أو التضليل، وبعضهـا الآخر نـاجـم عـن سـوء التقـدير. وهكـذا فإن الكتـابات تـزداد فائدة وقيمـة بمقدار مـاتتحلى به من صحـة المعلومات ودقتها.

وأخـيرا، فإن هناك ارتباطا بين قيمة الكتابة وما يبذل من جهـد فيـها. فكلما تأنى الكـاتب ودقّق وتـوثّق من المراجع وكـرّس من وقـت ، صـارت الكتابـة أكثر فـائدة. وهنا يبرز عامـل مهـم هـو عامـل الحافـز. فحتى يكون الكـاتب مستـعـدا للتضحيـة بالجهد الشـاق والوقت الطويل، يجب أن يتوافـر له الحافـز ، سواء كان حـافزا مـاديا أو معنـويا أو أخلاقيـا . ولعل فقدان الحافـز أحد العـوامل البارزة في رداءة بعـض الكتابـات، ولاسيما الكتب ، فمـؤلف الكتـاب يفتقـد الحافـز المادي لأن كتابـه لايغطي نفقات إصـداره إذا لم يتلق دعما من جهة ما.

إن أصحاب الدخل المحـدود لا يستطيعون شراء الكثير من الكتب، بسبب انخفاض دخلهم، والتجار وأصحاب المهن الحرة القادرون على الشراء، لايهتمون كثيرا بالكتب وباقتنائها، الأمر الـذي يشكل أزمة حقيقيـة في تسويـق الكتاب . فعنـدما يـرى المؤلف نفسـه في مثل هـذا المأزق لايجد الحافـز الكـافي الـذي يدفعه إلى التأليف والتجويد.

وهكذا فإن فائدة العمل الكتابي وقيمته لا تتحددان بشكله أو بنـوعـه، بقـدر مايقـررها تـوافر بعض العـوامل مثل الجدة والوضوح ودقة المعلومات والحوافز وغير ذلك ■

نافذةٌ على الحُب

شعر : جاسم محمد الصحيّح - الأحساء

سأشقّ باسمك ألفَ نَـهْرٍ

في صخورِ الصمتِ

ترتجلُ الهديلْ

وسأُجهضُ النار التي حَبُلَتْ

حنيناً للصليلْ

وأمدُّ حوليَ ضفَّتيكِ

ليستريحَ الوردُ فوقهما

وتتكيءُ النخيلْ

يَا حُلْوَتِـي

تَعِبَتْ بِوقفتها النخيلْ

تَعِبَت ..

وما برحتْ تحوكُ ارائكاً للريحِ

من دَمِها الأصيلْ

الآنَ اجترحُ الصهيلَ

وأدّعي شَـرَفَ الصهيلِ

مدجَّجاً بالشمسِ في شَفَتي

وأُغْمِدُ في مَـجَامِرها العويلْ

وَأُهَشِّمُ الصوتَ الـمُلَبَّـب بالقنوطِ

لأنُه صوتٌ دَخِيلْ

سَـأُقيلُهُ من رحلةِ الرغبات

بين جوانحي ..

أوْ يستقيلْ

يَا حُلْوتيَ ..

وأشدُّ قَادِمَتيَّ في عَيْنَيْكِ

منطلقاً أمامَ المستحيلْ

سأفتِّشُ الطرقات غُرْبَتَهَا ..

سَـأَذْرَعُ كُلَّ أرصفةِ التشرُّدِ ..

كل آثار الرحيلْ

شَغَفاً أُخَاصِرُ وَحْدَتِـي

وأعاقُر الأرقَ الطويلْ

لَنْ أستقرَّ إلى ' مَراحٍ

يُطْفِئُ الأفراسَ في حُلُمِي

من الوَهجِ الصقيلْ

حَتَّى أُعيدَ إلى ' «بُثَيْنَةَ»

عَبْـرَ أغنيتي، «جَـمِيلْ»

المهمّات المستقبلية للتعليم العربي

بقلم الأستاذ: محمد محمود بيومي - مصر

«الثابت الوحيد هو التغير الدائم!» عبارة قد تكون متطرفة إلى حد ما لكنها إحدى أسس التفكير الفلسفي العملي المعاصر التي نستدل منها على معنى واحد وواضح، وهو أن الكون تحكمه قوانين التغيير المتلاحقة، التي تشمل كل مجالات الحياة.

إهتم الفكر الفلسفي في الماضي بالفكرة الكلّية التي تشمل أطراف الكون عموماً، ولكن سرعان ما تغيرت أنماط الفكر الفلسفي فانصب اهتمامها على الجزء وليس الكل، وعلى الفرد وليس الجماعة وأخذت فكرة التغيير الدائم تتضح أكثر وتنتشر مع ظهور النظرية النسبية التي أكدت أن ما هو ثابت في حياة فرد معين ليس بالضرورة ثابتاً بالدرجة نفسها في حياة آخر، وأبسط الأمثلة على ذلك هي اللحظة الواحدة التي يختلف تأثيرها من فرد لآخر. ومع هذا التطور، أصبحت الفكرة العامة هي أن لكل شيء جوهر لاتراه الأعين ولكن تدركه العقول.

إن تتابع حلقات تطور هذا العالم منذ نشأته حتى عصرنا الحالي، إنما هو عبارة عن سرد تاريخي، يتكون من مجموعة من الحالات المختلفة المتعاقبة في تلاحق مستمر سريع بالنسبة للوجود، وبطيء بالنسبة للإنسان. ومع التغيير في الفكر الفلسفي، أخذت الأهداف العامة للتربية في التغير المتتابع، فالتربية ليست سوى متغير تابع لآراء وفلسفات وأفكار المجتمعات المختلفة من حيث تأثيرها الواضح في تكوين الفرد اجتماعياً ونفسياً وسياسياً، إلى جانب التأهيل العلمي والأدبي.

وتبلورت أهداف التربية في مضمون واحد، يرسّخ الاعتماد على خبرات الإنسان واكتشاف قدراته الخاصة والعامة، ويتم ذلك من خلال التفاعل بين الفرد والمواقف الحياتية المختلفة الذي يؤدي إلى تنمية القدرة على حل المشكلات، فكلما أمكن إيجاد حل لمشكلة معينة، أمكن إيجاد المزيد من الحلول لمزيد من المشكلات وبالتالي تنمية القدرة الابداعية أو ما يمكن أن يطلق عليه «تجديد الفكر». فالإبداع يمكن اعتباره وفق تعريف ما: «الوحدة المتكاملة لمجموعة العوامل الذاتية والموضوعية التي تقود إلى تحقيق إنتاج جديد وأصيل وذي قيمة من قبل الفرد أو الجماعة».

كما يمكن اعتباره عملية نفسية تبدأ منذ اللحظات الأولى للتعرف الى المشكلة ثم تحديد الفروض الأولية وتطبيقها للحصول على النتاج الإبداعي. لذا فالشخصية المبدعة يجب أن تتسم بالعديد من السمات والصفات الخاصة مثل البساطة، والقدرة على اكتشاف المشكلات، والحراك العقلي، والاستعداد للمخاطرة، والرؤية النقدية، إلى جانب إلمام تلك الشخصية بخصائص التفكير الفلسفي مثل الشك والشمول والغائية، والتأملية، والمرونة، والاستقلال العقلي.

المستقبل العربي:

إن تصور الإنسان لمستقبله لا ينفصل عن دراسته لحاضره، إذ يتوجّب علينا أن نعيد حساباتنا وندرك أخطاء الحاضر لنتجنبها في مواجهتنا للتحديات من أجل مستقبل عربي أفضل. وإذا ما حاولنا أن ندرس ما يحمله لنا المستقبل من مشاهد وصور، نجد أنفسنا ملزمين بدراسة ثلاث حلقات غير منفصلة هي المدخلات والمعضلات وأشكال إعادة البناء. والمدخلات هنا هي كل العناصر المحلية والعالمية التي تؤثر في مجتمعاتنا، ويمكن أن نرصد الشامل منها والعام. أما المعضلات فهي ما يواجهنا أو ما نعتقد أنه يواجهنا من مشكلات اقتصادية واجتماعية وثقافية وحياتية، أما أشكال إعادة البناء فهي من جهة الدراسات التي حاولت توضيح



بعض مسارات المستقبل العربي، ومن جهة أخرى الخطوات الفعلية التي تتخذها بعض الأقطار العربية للتأقلم والتكيف مع متطلبات المستقبل. والمدخلات نوعان :

الأول : المدخلات التقانية الاتصالية وهي المسؤولة عن الثورة المعرفية والمعلوماتية وعن السرعة التي تتقدم بها وسائل الاتصال الحديثة بخطى ثابتة سريعة.

الثاني : مدخلات التغيرات الاجتماعية والاقتصادية. مثل القوانين الاقتصادية والتغيرات التي جعلت رأس المال والأرض من مصادر القوة الاقتصادية وكذلك التغيرات الاجتماعية التي جعلتنا نقف أمام عصر متعدد الحضارات وتوظيف الثقافة لتكون قاعدة للتطوير العلمي.

أما عن المعضلات فهي تتمثل في مشكلة الهجرة من الريف إلى المدن وافتقار الاقتصاد العالمي للقطاع الزراعي، ثم مشكلة التباين بين نظام العرض والطلب، وبين أعداد الخريجين وفرص العمل المتاحة، ومشكلة التبعية العربية للعلوم الغربية، وإذا ما انتقلنا إلى أشكال إعادة البناء أو الخطوات العلمية التي تتخذها بعض أقطارنا العربية فإننا سنجد العديد من الإجراءات اتخذت لإعادة البناء التنموي بنهج جديد يهدف إلى التطوير.

وهكذا نجد أنفسنا ملزمين بتوفير قدرات عقلية قادرة على مواجهة تحديات المستقبل. ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق تصحيح المسار التعليمي التربوي وتوحيده في الوطن العربي، بحيث يكون الإبداع محور أهداف مؤسساتنا العربية التربوية لمواجهة التطور السريع في المعلوماتية والعلوم التقانية.

واقترح أن تتبلور أهداف التربية في الوطن العربي بالاعتماد على المحاور التالية:

المحور الأول :

إعداد العقل العربي القادر على مواجهة تحديات المستقبل من خلال توجيهه إلى قنوات التفكير العلمي السليم، والقضاء على نظم التعليم بالتلقين وعلى امتحانات الحفظ والاستظهار. فقد أدت مأساوية التلخيص والحفظ من دوائر العلوم الدراسية إلى نشوء ظاهرة تجارة الكتب التي تبلور للدارسين علومهم من نقاط تحفظ ، ولا يحتاج الأمر منا إلى بيان إذا قلنا أن العلم المنقوط أشلاء لاتصنع كائناً حياً .

إذاً كيف نتمكن من تنمية الفكر العربي والإبداع العربي عن طريق التعليم ؟ لاشك أن ما حدث في بداية هذا القرن من نقلة علمية استدعى تدريس بعض العلوم الحديثة مثل الرياضيات التطبيقية، ثم الرياضيات الحديثة، ثم الرياضيات الجماهيرية «الإضافية» التي ساهمت بصورة أو بأخرى في تجديد الفكر العام العالمي.

هكذا كان الحال في النهج الغربي عندما شرع في تكوين منهجه العلمي، فلم يقسم التعليم إلى قسمين منفصلين قسم يدرس الرياضيات والعلوم وقسم آخر يدرس الآداب واللغات، فهما قسمان لاغنى لأحدهما عن الآخر. ولاشك أن هذا التقسيم العلمي والأدبي أدى إلى تقسيم الطلاب إلى فرق وشيع أو أحزاب، إما علمية تطبق العلوم تطبيقاً أعمى، أو أخرى أدبية تحفظ الآداب حفظاً أصم، وهذا يؤدي في النهاية إلى استقلال التفكير العلمي عن التفكير الأدبي، في الوقت الذي ترتبط فيه العلوم الإنسانية الأدبية بالعلوم التطبيقية العلمية ارتباطاً وثيقاً.

الإنتاج القومي للأفراد في العالم خلال عام ١٩٨٦م

اقتصاديات مجموعة الدول	عدد السكان بالملايين	إجمالي إنتاج الفرد مقدراً بالدولار	المعدل السنوي لنمو إجمالي الإنتاج للفرد
الدول ذات الأسواق الصناعية	٧٣٣	١١,٣٤٠	٢,٤٪
الدول ذات الدخل العالي «المصدرة للبترول»	١٩	١١,٢٥٠	٣,٣٪
الدول ذات الدخل فوق المتوسط	٤٩٧	١,٩٥٠	٣,٣٪
الدول ذات الدخل المتوسط المنخفض	٦٩١	٠,٧٤٠	٣٪
الصين والهند	١٧٧٨	٠,٢٩٠	٣,٣٪
الدول ذات الدخل المنخفض	٦١١	٠,١٩٠	٠,٩٪

* المصدر: «البنك الدولي» تقدير التنمية العالمية عام ١٩٨٦م .

المحور الثاني :

الاستناد إلى المنهج العلمي بغية تخريج أجيال من المتعلمين خالين من التشوهات العقلية، فالعلم لابد أن يبدأ من الحقائق وينتهي بها، بغض النظر عن الهيكل العلمي النظري الذي يتم بناؤه من البداية إلى النهاية. فالباحث يحاول تقديم صورة كاملة لما يحدث وما يتوقع أن يحدث من مشاهدات واقعية على أساس نظريات يتأكد من دقتها. فالمنهج العلمي معناه إيجاد دلائل تؤيد أي فكرة جديدة، سواء كانت هذه الدلائل فرضاً رياضياً أم تجربة عملية في معمل متخصص. وربما يكون المدخل الطبيعي لتطبيق المنهجية العلمية في التعليم العربي هو الاتجاه إلى سياسة التعليم القائم على التفاعل بين المتعلم وكل من المعلم ومصادر المعرفة.

المحور الثالث :

تطوير التعليم من خلال الاستعانة بالوسائل التقانية الحديثة من أجهزة حاسوب ووسائل تعليمية، فلاشك أن عالم



المستقبل ستطرأ عليه العديد من التغيرات التي ستؤثر تأثيراً مباشراً في العملية التعليمية بعد أن دخل التعليم دائرة التنافس بين القوتين العظميين، مما سيؤدي إلى تطور تقاني هائل في التعليم وثورة المعلومات إلى جانب التطورات الاقتصادية في العالم بقسميه النامي والمتقدم التي سيكون لها أثرها في تطور وسائل التعليم ويكون مطلوباً منا في هذه الحالة الأخذ بأسباب تطوير التعليم تقانيا حتى نستطيع مسايرة العالم.

المحور الرابع :

إعداد أجيال سمتها الأساسية الإنتاج. ففي كتاب وعود المستقبل للكاتب «الفن توفلر»، يتصور المؤلف أن العملية الانتاجية في المستقبل ستتغير إلى شكل جديد يتحول فيه المنتج إلى مستهلك والمستهلك إلى منتج بحيث تتحول النظم الاجتماعية لينتج كل فرد ما يستهلكه حيث سيختفي المنتج على اساس منتج النقد التبادلي بمعنى أننا لن نجد منتوجات تباع وتشترى. إن هذه الرؤية المستقبلية تتطلب منا وقفة حذر، إذ لابد أن تتوفر لنا الإمكانات الإنتاجية التي تؤدي إلى القضاء على التبعية الإنتاجية في الوطن العربي.

أما تضاؤل الإنتاجية فإنه لاشك مرتبط بعدة عوامل منها ما يرجع إلى المنتج نفسه و«العنصر البشري». ومنها ما يعود إلى الآلات والأدوات «العنصر التقاني»، أو إلى بيئة العمل وشروطه «النظام الاقتصادي والإداري وتوافر السوق» أو إلى نوعية العلاقات الاجتماعية «النسق الاجتماعي» أو إلى البيئة الطبيعية «المناخ والمواد» وهذه العناصر مجتمعة تشكل في مجتمع بعينه النسق الانتاجي لهذا المجتمع ،بحيث إذا ما اختل أحد هذه العناصر تداعى النسق من حيث مستوى الإنتاجية ومجتمعنا العربي مجتمع زاخر بالطاقات الشابة القادرة على الإنتاج لأنه مجتمع تتجاوز فيه نسبة الشباب نصف عدد السكان بكثير، لكن هذه الطاقات إما عاطلة أو مستخدمة استخداماً غير ملائم في أغلب الأحوال. بل إن الكثير من مؤسسات هذا المنتج خاصة مؤسساته التعليمية قد أصبحت أدوات لإعادة إنتاج البطالة باستمرار، بدلاً من أن تكون مؤسسات تمد المجتمع بقوى منتجة مدربة ذات كفاءة قادرة على مواكبة ما يتطلبه الاقتصاد المعاصر من تسارع في الإنتاج. ولاشك أن السبيل الوحيد لمستقبل عربي إنتاجي أفضل هو إعداد أجيال مؤهلة علمياً.

المحور الخامس :

تحقيق التنمية الشاملة الكاملة المستديمة، وهي التي تلبي حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجاتهم، وتحتوي على مفهومين أساسين :

- مفهوم الحاجات، خصوصاً الحاجات الأساسية لفقراء العالم التي ينبغي أن تعطى الأولوية المطلقة.
- فكرة القيود التي تفرضها حالة التقانة والتنظيم الاجتماعي على قدرة البيئة التي ينبغي أن تعطي وتوفر حاجات الحاضر والمستقبل.

ولذا فإن الحاجات المستقبلية، تحتم على مجموعة الدول ذات الاحتياج العمالي أن تعمل على بناء قواها البشرية على النحو المطلوب من أجل التنمية، ومهما كان الاعتماد العربي المتبادل محبذاً ومهما كان التكامل العربي الشامل وافياً بالغرض، فإنه لابد للعملية التربوية التعليمية التأهيلية أن تأخذ مداها في كل دول المنطقة .

المحور السادس :

التنمية الإدارية أو إدارة التنمية، وهي دعوة لتأهيل أجيال من الشباب العربي لإدارة التنمية بالصورة الصحيحة التي تؤدي إلى استمرار الأعمال التنموية وفق الأهداف والخطوات الموضوعة من قبل لجان التنمية حيث أن التنمية الإدارية والإصلاح الإداري وتطوير الإدارة كانت وما زالت تعتبر مدخلاً ضرورياً لتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية شاملة تنتشل أقطار الوطن العربي من حالة التخلف التي أورثها إياها الاستعمار، وتسير بها قدماً في طريق بناء مجتمع عربي متقدم قادر على الوفاء بالاحتياجات المادية والروحية المتنامية للشعوب العربية وعلى تحقيق الأمن الوطني والقومي العربي .

وإذا ما استطعنا بلورة تلك المحاور في صيغة أهداف تربوية وتعليمية عملية فإننا نكون بذلك قد خطونا أولى الخطوات نحو مستقبل صحيح للتعليم العربي ■

الهوامش :

١ - الكسندرو روشكا «الإبداع العام والخاص» ترجمة د. غسان عبد الحي، عالم المعرفة العدد ١٤٤.

٢ - د. محمد الرميحي «العرب من الألف الثالث بعد الميلاد، التفاوض على المستقبل» مجلة العربي، العدد ٣١٤.

٣ - د. مراد وهبة «الابداع الجماهيري هو الحل». مجلة المنار، العدد ٥٣.

٤ - هيئة تحرير مجلة الوحدة «محور الإنتاج والإنتاجية في الوطن العربي» الوحدة العدد ٦٨، مايو ١٩٩٠م - ص ٤٠٣.

٥ - فيصل غرايبة «تنمية الموارد البشرية في ظل النفط العربي» الوحدة ٦٨ - مايو ١٩٩٠م،ص ٦٠.

٦ - د. علي خليفة الكواري «نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة»، مركز دراسات الوحدة العربية - ١٩٨٥م،ص ٦٠.



الفن ضرورة إنسانية وتربوية

بقلم: د. حسيني علي محمد - الجوف

اهتم الإنسان منذ فجر التاريخ بإضفاء اللمسة الجمالية على كل ما حوله، اذ إن التعبير الفني من الحاجات الضرورية في تاريخ البشرية، وانعكس هذا الاهتمام في رسوم جدران الكهوف، والوشم، وكان الإنسان يزين رقبته ويديه بعقود وأساور من الأصداف والمحاريات وأسنان وعظام الحيوانات التي يصطادها. والمتتبع لتطور الحياة البشرية يجد أن هذا الدافع ظل ملازماً للإنسان، فالجمال غريزة في نفسه والفنون بكل أنواعها برزت إلى عالم الوجود بوحي من النفس البشرية، وإلهام من الطبيعة.

والباحث في أصول الحضارات يجد أن الفنون الجميلة (رسماً أو نحتاً أو عمارة) هي الأسبق والأخلد والأرقى على مر العصور، من أي فكر انساني آخر. فلولا تلك الإبداعات التشكيلية في المتاحف، والآثار، وجدران المعابد، لما عرفنا التاريخ. ولما وقفنا على أسرار الحضارة، ومسيرة التطور في شتى مراحل حياة الإنسان على كوكب الأرض.

وإذا كان العلم .. وليد حاجات الإنسان الضرورية يخضع لمقاييس العقل، وقوانين المنطق والحساب، فإن الفن من الناحية الأخرى هو وليد الانفعال، وتألق البصائر وثورة العواطف وهو ينطلق من نفوس الفنانين المبدعين في عفوية وسلاسة، بشحنة وجدانية، تمثل الرسوم والزخارف على الأواني الفخارية، واللوحات الجدارية على جدران المعابد المصرية القديمة، وكذا الروائع الزخرفية من الخط العربي، والوحدات الهندسية والنباتية «الارابيسك» في العمارة الإسلامية، شواهد واضحة، على أن الرغبة في التجميل والإبداع تمثل حاجات إنسانية أساسية تتوق إلى الإشباع، تبعاً لفلسفة وثقافة كل عصر، «والإقلال من الحاجات الإنسانية، بمعنى إغفال النواحي المتصلة بالجمال، هو تهديد

للصحة العامة ونوعية الحياة، ولو أنه تهديد أكثر خفاء من التهديد الذي يشكل عدم إشباع الحاجات المباشرة المتعلقة بالغذاء والمأوى» .

وفي عالمنا المعاصر نجد أن الفن قاسم مشترك في كل مناحي الحياة، يهب لمساته الواعية لكل مرفق من مرافق حياتنا، فمنه ما هو وجداني خالص ومنه ما يؤدي وظيفة جمالية بحتة، فكانت فلسفة الفن للفن، ومنه ما هو تطبيقي نافع يؤدي مهمة عملية مطلوبة، ومن ثم كان الاتجاه الذي ينادي بأن الشكل يتبع الوظيفة، المتمثل في مدرسة «الباوهاوس». ولكنه في النهاية فن جميل، يضفي على الحياة الرقة والذوق الرفيع وينعكس على سلوكياتنا، فينمي في نفوسنا الشعور بالبهجة والتذوق الفني والتمتع بأسباب الجمال.

أرامكو السعودية

الفن وبناء الشخصية المتكاملة :

التربية بوجه عام تهتم ببناء الفرد جسمياً، وعقلياً، واجتماعياً، وعلم التربية ذو اتصال وثيق بالعلوم الاجتماعية، لارتباط مفهومها بتنمية طاقات الفرد وتوجيهها اجتماعياً، كما أن الارتباط قائم بين علم التربية، وعلوم النفس والاجتماع والفلسفة، وعلم الأجناس «الانثربولوجيا» والثقافة. ولقد بينت كثير من دراسات علم النفس الحديث، أن الحاجات النفسية للفرد تنقسم إلى : حاجات معرفية، وحاجات جمالية وفنية، وحاجات عاطفية انفعالية، وحاجات اجتماعية وأخيراً حاجات قيمية، فالحاجات المعرفية تتصل بالكشوفات والمغامرات والفهم والتوجيه، بينما تشتمل الحاجات الفنية الجمالية على التذوق والإبداع والابتكار، والاتصال الشعوري بالحياة، كما أن الحاجات العاطفية الانفعالية تختص بالإنجاز والكفاءة والقدرة والمسؤولية والشخصية، والحاجات الاجتماعية ترتبط بالانتماء وتقدير الآخرين، والتقدم في المجال المهني، وأخيراً فإن الحاجات القيمية تتضمن النظام، والمثل العليا، والخلق . وقد أوضحت الكثير من الدراسات النفسية «السيكولوجية» أن مفهوم تكامل الشخصية يعني التوازن والتوافق بين الاستعدادات والقدرات المتميزة للفرد، التي تشكل في مجملها الصورة العامة للشخصية، وتعد ممارسة النشاط الفني الإبداعي والتذوق الفني جزءاً مهماً من هذا التكامل، والهدف الأول للتربية هو تكوين الشخصية المتكاملة بجوانبها المختلفة، ومنها الجانب الجمالي الذي لايقل أهمية عن أي جانب آخر.

ويلاحظ المتتبع للعملية التعليمية في الوطن العربي، التي هي جزء من مكونات التربية، أن هناك تحولاً كبيراً في مجالات تطوير المناهج، وأعداد المعلمين وتحسين البيئة التعليمية، وشكل التعليم وأهدافه، وينعكس هذا التطور المتنامي في جانبي الكم في أعداد الطلاب المتزايد والكيف في نوع الاختصاص إلا أنه لم يقترب كثيراً من التركيب النفسي للطالب، ليتعرف إلى قدراته واستعداداته للتعلم، أو بمعنى آخر ما زال التعليم يهتم بالشكل، ولم يعط الأهمية للطالب الموهوب، والطالب العادي وغيرهما.

والتربيــة الفنية ذات ارتبــاط وثيق بــعلــم الجمــال وفلسفــة الفن، وهي صيغـة فريـدة تجمع بين السلوك الإنساني من جـانب وبين خبرات الفن المتعـددة من جـانب آخر كما تعنى التربية الفنية في المقـام الأول بتنميـة وتكـامل الشخصية الإنسانيـة. وهي تقوم بتلبية حـاجات الفـرد الجمالية، من خـلال تحديد أهـداف المادة في مهام تربويـة تتعلق بتنمية الحس الجمالي عند الفرد، وأصبح للفن دور في بنـاء الفـرد والمجتمع، هـذا الـدور يـرتبط بـالثقـافـة والفكـر والعـلاقـات الاجتماعيـة، والاقتصـاديـة والارتباط بشعوب العالم، والانفتاح على الثقافات المعاصرة.

المفهوم المعاصر للتربية الفنية :

في النصف الأخير من هـذا القرن، أصبحت التربيـة الفنية بمفهومها المعاصر تقف موقفاً إيجابياً من تعبير الطفل، وتوجه مسـاره نحو الارتبـاط الـوثيق بتكـوين شخصيته ومخاطبـة عقله، ومخاطبة وجدانه وتهذيب إحساسه ويتم ذلك من خلال مناهج علمية، وضعت لتتناسب مع قدرات الطفل الفطرية ومع استعـداداتـه حتـى يتمكن من تأمل وإدراك العناصر الطبيعية التي تقع في محيط البيئـة التي يعيش فيهـا، ويتدرب على طرق التكيف معها من أجل الاستزادة بـالخبرة والثقافة والمعـرفة، وإدراك العلاقـات الجمالية الكـامنة فيهـا والتطلع إلى كيانه مـن خلالها، والوقوف على مـدى حاجته إليها وما هو واجبه نحوها.

ومن خـلال تعامل الطفل مع الخامـات والأدوات، تتاح لـه الفرصـة للقيام بعمليـة المزج والتحليل والتركيـب بين العنـــاصر مستخـدماً قـدراتـه العقلية للتعـرف إلى أشكـالها وأنواعهـا وإمكانـاتها وطرق حلها وتـركيبها واكتساب مهـارات تعلّمها وصولاً إلى المستـوى الإبداعي، والتربية الفنيـة مادة تربـوية لاتقل أهميـــة عن جـوانب التربيـــة الأخـــرى، فهي التي عن طريقهـا يتهذب الـذوق ويصقل، وهي التي تعـود الإنسان على الابتكار والإبداع واكتساب القيم الجمالية في الحياة والارتباط بالبيئـة وفهمها، وهي عادة تـولد لدى الأشخـاص القدرة على التمييـز بين قيم الأشيـاء، فيستطيـع الإنســان الـذي مـارس الفنون إصـدار الأحكام الجماليـة، وتمييز القبيح من الجميل، وهنـاك رابطـة بين حب الجمال وتذوقـه وبين القيم الخلقيـة، فالسلوك الخلقي هو سلوك قويم أي أن له طابعاً جمالياً.

والتربية الفنيـة تهتم في المقام الأول بالنمو لـدى الإنسان من خلال الفن : نمو في الرؤية الفنية، ونمو في الإبداع التشكيلي، ونمو في تمييز الجمال وتذوقه، ونمو في القدرة على التعبير بلغة الفن التشكيلي من خطـوط ومسـاحات وحجـوم وألـوان وقيم سطحيـة تتداخل وتشكل الـوحـدة والاتزان والإيقـاع، كما أن التربيـة الفنية تهدف إلى تنميـة وعي الطلاب بـالتراث الفني المحلي والعالمي.

ووصولاً لتحقيـق أهداف التربيـة الفنية في ضـوء المفهوم المعـــاصر، ينبغي الإشـــارة إلى أهم الأسس والاتجاهـــات المعاصـرة في التربية الفنية وهي :

- اتباع منهج التفكير العلمي، الـذي يوفر للطـالب قدراً من

المعرفة الإنسانية في أحدث صورها لتقديم الحلول الفنية والتربوية والاجتماعية.

- تطبيق الجانب العلمي والمعرفي المكتسب من التعامل مع مجالات التربية الفنية المختلفة، في شتى مناحي الحياة، وانعكاسه على سلوكيات الطالب اليومية.

- التربية الفنية ليست مادة منعزلة أو منغلقة على ذاتها وإنما هي متفاعلة مع ما حولها، سواء في الجانب الأكاديمي أو داخل البيئة المدرسية، من خلال العلاقة التفاعلية بينها وبين المواد الدراسية الأخرى التي هي بطبيعة الحال علاقة أخذ وعطاء. أو في البيئة والمجتمع من خلال اتخاذها للرموز التراثية والمظاهر الحياتية، والخامات البيئية مصدراً للتعبير الفني والإبداع التشكيلي.

- الارتباط بالتقدم العلمي والتطور التقاني الذي يسود العالم ومعايشة العالم المعاصر في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

- الاهتمام بتنمية العلاقات الاجتماعية وتحقيق التوازن الاجتماعي، وتعميق وترسيخ قيم وعادات، كالتعاون والتشاور والأخذ والعطاء وإبداء الرأي، واحترام الرأي الآخر، وتقدير قيمة العمل، واحترام القائمين عليه، من خلال العمل الجماعي، دون إخلال بقيمة العمل الفردي.

- التأكيد على التعريف بجوانب التراث الفني الإسلامي والإفادة من معطياته ورموزه التشكيلية في الأعمال الفنية.

- التأكيد على الإفادة من منجزات التقدم التقاني خاصة الآلة كأداة معاصرة مع الحرص الشديد على الجوانب والمعاني الإنسانية.

- الاهتمام بالتخطيط، وحاجة معلم الفن إليه في ضوء عوامل يجب مراعاتها منها التلميذ والبيئة والماضي الفني للتلميذ والخامات والأدوات والوسائل التعليمية وأهداف المادة والتراث الحضاري والثقافي والفني الذي نعيشه، وأخيراً نوعية المواد الدراسية الأخرى التي يشملها المحتوى التعليمي.

- ضرورة الإلمام بالاتجاهات والأساليب الفنية المعاصرة، في علاقة أخذ وعطاء مع ما يتناسب مع عقيدتنا الإسلامية، والعادات والتقاليد والقيم الروحية والفكرية للمجتمع.

وظيفة الفن التربوية :

مادة التربية الفنية لها دور مهم في تربية الأجيال تربية جمالية، وهذه من شأنها الارتقاء بسلوكيات الفرد، وتنمية قدرته الإبداعية وتعميق الانتماء الوطني والإنساني لديه، وتعميق الشعور الروحي نحو الإيمان بقدرة الخالق، وعظمته وبديع صنعه. كما أن ممارسة التعبير الفني بشكل مبتكر وأصيل، يتيح للفرد تعلّم بعض العادات المفيدة التي يكون لها أكبر الأثر في تكامل شخصيته، فهو يتعود من خلال هذه الممارسة على انتهاج أسلوب التفكير العلمي في حل المشكلات، ويتعود كيف يبحث ويفكر في تحقيق العلاقات الجمالية، وكيف يستمتع بمحصلة تلك العملية، وكيف يكتشف الحلول، ويحقق النتائج الإبداعية، هذا التفكير قد يصبح اتجاهاً في حياة الفرد ليعم أثره على نشاطاته المختلفة، وطريقته في حل المشكلات، وتعامله مع أفراد المجتمع.

وتعمل الأهداف الأساسية التي تكمن وراء التربية الفنية في البيئة المدرسية والمجتمع والحياة اليومية على تحقيق كثير من القيم التربوية منها :

- تنمية مهارات التعبير الفني عند الطفل، بالحس المرهف والمشاعر الرقيقة، لأن العمل الفني يعتمد في جوهره على الإحساس والوجدان أولاً ويعتمد على الذهن والعقل ثانياً.

- تدريب الأطفال على الاستخدام غير المحدود لجميع الحواس : كتدريب العين على الرؤية المتأملة الفاحصة لعناصر الطبيعة، والأذن على سماع الموسيقى المتناغمة،

واستخدام حاسة اللمس في التمييز بين السطوح المختلفة لمكونات الطبيعة.

- تدريب الأطفال على التكيف الاجتماعي من خلال الاندماج مع الآخرين في مواقف اجتماعية، دون سيطرة أو تهاون من جانبهم لأن السيطرة تحد من انتاج الفرد الإبداعي، والتهاون يسلبه احترام الآخرين له.
- اكتساب الأطفال اتجاهاً جمالياً ينعكس في شغل أوقات فراغهم بأعمال مفيدة، وينمي لديهم احترام العمل اليدوي وتقدير القائمين عليه.
- ممارسة التعبير الفني تهيء فرصة للتنفيس عن بعض الانفعالات والأفكار والمشاعر فتحقق للأفراد نوعاً من الاستقرار والاتزان النفسي والتوافق الاجتماعي، ويشعرون بكيانهم، ويلمسون تقدير الآخرين واستحسانهم لإنتاجهم الفني فتمتلىء نفوسهم بالثقة والاعتزاز بالنفس.
- ممارسة التعبير الفني، ثم استمتاع الآخرين به، من خلال المعارض الفنية. وهذه لها وظيفة تربوية واجتماعية تتحقق من خلال توحيد المشاعر مما يؤدي إلى تبادل الآراء والأفكار وإيجاد أرضية مشتركة تؤلف بين الجميع ضمن صداقات وعلاقات طيبة.

إن الفن رمز من رموز الوعي والذوق والثقافة، وله أهمية كبرى لاغنى عنها أبداً فهو يمس مظاهر الحياة اليومية، من ملبس ومسكن وأثاث، فأي نشاط إنتاجي أو صناعي يخلو من القيمة الجمالية والسمة الابتكارية، هو إنتاج رخيص، ومن الصعب جداً أن نتصور العالم الذي نعيش فيه خالياً من لمسات الجمال، فلا يمكن أن نتصور الأرض بلون أصفر بدون أن تنبت نباتاً أخضر أو أشجاراً أو أزهاراً ملونة، ولايمكن تصور السماء بلون واحد، ولا كل الوجوه البشرية صورة مكررة دون تغيير، وكذلك لايمكن تصور انعدام الخط واللون.

والدور الذي يقع على عاتقنا هو إحاطة الطفل بكل ما يسهل إدراكه الحسي وبناءه العقلي وتفاعله الاجتماعي، من خلال استثارة الطفل للتجريب والتعبير عن مشاعره وانفعالاته، وقد قال بياجيه: «إذا أردنا للطفل أن يكتسب مفاهيم جديدة ويرتفع إلى مستويات إدراكية، وجب علينا أن نضعه على طريق اكتشاف نفسه، وأن يقتصر عملنا نحن على التوجيه» والتربية الفنية تلعب دوراً كبيراً في تنمية الشخصية المبتكرة المبدعة، فعمليات البحث والتجريب والاكتشاف المستمر في ممارسة مجالات الفن المتعددة تتيح الفرصة للفرد لتكوين شخصيته المتميزة، وطابعه الخاص الذي يظهر عادة في سلوكه وفي عاداته وفي علاقاته الاجتماعية مع الآخرين، والتربية الفنية وسيلة من وسائل المعرفة، فهي نافذة الفرد للاطلاع على آيات الله تعالى في خلقه، بعين فاحصة متأملة ذواقة، تميز مواطن الجمال والإبداع في البيئة الطبيعية وهي المدخل الحيوي للتعرف إلى التراث الحضاري وتذوقه.

والمشكلة التي تهدد التربية الفنية، في تأدية رسالتها على الوجه الأكمل، هي معرفة ما إذا كان الطفل ينمي مواهبه وإمكاناته الفنية بشكل سليم، وهذا أمر آخر يتعلق بمدى مقدرة معلم الفن وتفهمه لرسالته التربوية، والمعلم لايعلم الطفل الفن كفن، بقدر ما يعلمه الملاحظة والتأمل بهدف تنمية قدراته على التمييز والتحليل والتصنيف لمكونات الطبيعة، فالطفل ليس بحاجة إلى قوانين ونظريات ومبادىء بل هو في حاجة إلى من يشجعه على التعلّم، كيف يفكر ويبدع بحرية، ولقد أصبح الفن وسيلة تربوية أساسية يلعب دوراً في بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة ■

المراجع:

١ - دكتور محمد البسيوني «الفن والتربية» دار المعارف، القاهرة ١٩٥٧م.

٢ - دكتور زكريا إبراهيم «فلسفة الفن في الفكر المعاصر» مكتبة مصر، القاهرة ١٩٦٦م.

٣ - د. محمد علي أبو ريان «فلسفة الجمال» دار المعارف الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٠م.

٤ - د. مصري حنورة «سيكولوجية التذوق الفني» دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م.

٥ - د. شاكر عبد الحميد «العملية الإبداعية في فن التصوير» عالم المعرفة، الكويت العدد ١٠٩، يناير ١٩٨٧م.

٦ - برنامج الأمم المتحدة «حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي» ترجمة عبد السلام رضوان عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٥٠ يونيو ١٩٩٠م.

٧ - د. عبد الهادي الحسيني محمود «التربية الفنية وطرق تدريسها» الجزء الأول، مكتبة الطالب الجامعية مكة المكرمة ١٩٨٧م.

٨ - أحمد عائش دشاش، محمد حاتم حسين «مرجع موجه التربية الفنية» وزارة المعارف، السعودية.

٩ - د. أكرم قانصو «مبادىء التربية الفنية» مكتبة المعارف، بيروت ط ١، ١٩٩٢م

الدمع الغالي

قصة الأديب الصيني : يه شاوكين
ترجمة الأستاذ: محمد رمضان علي - مصر

طفق الرجل يبحث عن شيء غالٍ ثمين عزيز أضاعه الناس. بحث عنه تحت جذور الأشجار، وفي قيعان المحيطات، وفي ذرات التراب، وفي الهواء ، فلم يجده، فزفر زفرة عميقة، ثم قال : «بأبي أنت وأمي ! أين عساي أن أجدك أيها العزيز الغالي ؟

جاء رجل متفائل وسأله قائلاً : عن أي شيء تبحث ؟ رأيتك تبحث تحت جذور الأشجار .. هل ضاع منك الزئبق ؟ ورأيتك تبحث في قيعان المحيطات .. هل ضاع منك اللؤلؤ ؟ ورأيتك تبحث في ذرات التراب .. هل ضاع منك الدم ؟ ورأيتك تبحث في الهواء .. هل ضاع منك العبق الطيب ؟ فأجاب البحاثة : لم يضع مني شيء مما ذكرت .

فقال الرجل المتفائل : إن الإنسان العاقل لايبحث هذا البحث المرهق المضني إلا عن شيء ذي قيمة نادرة، ولامعنى لأن تهلك من أجل شيء لاقيمة له.

قال البحاثة : «إن الشيء الذي أبحث عنه أجلُّ قيمة من الأشياء التي ذكرتها، وقد بحثت عنه في كل مكان، فلم أعثر له على أثر ولا بأس بأن أصرح لك باسمه. إنني أبحث عن الدمع الغالي.

فغر المتفائل فاه، واتسعت حدقتاه، وقال: الدمع الغالي ؟ إن عيني لم تدمعا أبداً. على كل حال. لقد رأيت كثيراً من الحمقى تدمع عيونهم أحياناً وسأدلك على مواطنهم، إن شئت.

في محطات السكك الحديدية، ومرافىء السفن رجال ونساء تشابكت أيديهم، وتلاصقت أجسادهم، فإذا صفرت قاطرة أو باخرة انقطعت المحادثات، واستيقظ الحالمون، وسالت الدموع من عيونهم.

قال البحاثة : لاتعنيني هذه الدموع. إنها ليست بعزيزة، ولو كنت أبحث عنها لاتجهت إلى المرافىء والمحطات منذ البداية .. لا . لا. أنا لا أبحث عن هذا اللون من الدموع.

قال المتفائل : إذن فاذهب إلى مهاد الطفولة اللاهية الناعمة. ستجد هناك أطفالاً تعجبك وجوههم الجميلة، وشعورهم الصفراء، وعيونهم السوداء. ثم تراهم فجأة يبكون بكاء شديداً يقطع نياط القلوب. ثم يتوقفون عن البكاء فجأة، ستجد عندهم من الدموع ما يكفيك.

قال البحاثة : وهذه الدموع لاتعنيني أيضاً، ولو كنت أبحث عنها لاتجهت إلى مهاد الأطفال منذ البداية .. لا . لا. أنا لا أبحث عن هذا اللون من الدموع.

قال المتفائل : إذن توجّه إلى دور التمثيل ترى رجالاً ونساء يمثلون في مسرحيات تثير الأسى في النفوس، كمصرع الأبطال وأحزان الثكالى وضياع الأيتام، قد تكون قصصاً خيالية أو واقعية لايهم، وإنما المهم أنها تشيع الأسى في النفوس، فتنهمر الدموع من العيون، وستجد عندهم ما يكفيك.

قال البحاثة : هذه الدموع ليست عزيزة، ولو كنت أبحث عنها لاتجهت إلى دور التمثيل منذ البداية .. لا. لا. أنا لا أبحث عن هذا اللون من الدموع.

قال المتفائل : إذن فعن أي دموع تبحث ؟ أنا لا أعلم أن في الدنيا دموعاً غير التي ذكرتها لك.

قال البحاثة : لقد علمت أن في الدنيا دموعاً أخرى. إنها دموع الرحمة والعطف والإشفاق.

قال المتفائل : دموع الرحمة والعطف والإشفاق، إنني أسمع هذه الكلمات لأول مرة في حياتي. أكاد أجزم أن ليس في الدنيا شيء من هذا القبيل. على كل حال. إذا ظفرت بها فأرجو أن تحيطني علماً.

قال البحاثة : إن صاحب هذا الدمع يذرفه إذا رأى المأساة،

فتأثر بها تأثراً حقيقياً. وانقبض لها قلبه. إنها ليست كدموع الأطفال سهلة ميسورة. وليست كدموع الممثلين الخالية من الصدق والإخلاص. لقد بحثت طويلاً عن دموع الرحمة والعطف والإشفاق في مظانها فلم أجد لها أثراً حتى الآن. ربما سقطت من عيون الناس في مكان ما. وكل ما سقط أو ضاع يمكن أن نجده بالبحث. لقد عقدت العزم على أن أبحث عنها بجد وإخلاص. وإذا وجدتها رددتها إلى أصحابها.

قال المتفائل : يصعب عليّ أن أصدقك.

قال البحاثة : أنت ممن أضاعوها. فلماذا لاتشترك معي في البحث عنها ؟ هل لك في مرافقتي ؟

قال المتفائل : الحقيقة أنني لاأحب أن أضحي بوقتي في عمل لا طائل من ورائه.

فلنفترق يا صاحبي.

اتجه البحاثة إلى وسط المدينة فوجد الطرقات مزدحمة بالعربات والسيارات والمشاة وكأنهم في يوم الفزع الأكبر. ولا أثر للدمع في عيونهم. فانصرف عنهم.

ثم عرج ناحية دار الاحتفالات. فوجدهم يستعدون لاستقبال أحد الأبطال. استرق السمع فعرف أن هذا البطل خاض المعارك. وأهلك الأعداء. ودمّر بيوتهم وحصونهم ومصانعهم. وجعل من الأطفال أيتاماً ضائعين. قال لنفسه : لعلي أجد في مآقيهم دموع الرحمة والعطف والإشفاق. ولكن ما أن ظهر البطل حتى حياه الناس بالهتافات العالية وعلت وجوههم ملامح البشر والفرح والبشاشة. فأيقن البحاثة أنه لن يرى ما ينشده في هذا المكان الصاخب. فانصرف عنه. واتجه ناحية قرية متواضعة.

وقف حيال أحد الأكواخ. فوجد أمام صاحبة الدار قفصاً به بضع دجاجات. وعلم أنها تستعد لإعداد وليمة. أخرجت إحدى الدجاجات من القفص. وأمسكت بيدها اليسرى جناحيها ورفعت بيدها اليمنى ريش عنقها. ثم تناولت سكيناً وذبحتها. حركت الدجاجة رجليها وكأنها تستميت في الدفاع عن نفسها. ثم ما لبثت أن هدأت وفارقتها الحياة بعد أن سالت دماؤها بغزارة. ثم أخذت دجاجة ثانية وثالثة ورابعة وأخضعتها للمصير نفسه.

ولما همّت المرأة بذبح الدجاجة الخامسة اتفق أن خرج من الكوخ ولد صغير. ورأى أمه وهي تذبح الدجاجة. فاعتصر الألم قلبه. وكاد أن يختنق من هول ما رأى. حاول أن يتدخل ويخلص الدجاجة من بدي أمه. فردته بعنف. ولم يفلح. وقف باكياً مقهوراً وقد كظم غيضه. وجحظت عيناه. وانهمرت دموعه متدفقة غزيرة.

وهنا تنبه البحاثة وقال لنفسه : يا إلهي ! هذا هو الدمع الغالي الذي أبحث عنه. هذا هو دمع الرحمة والعطف والإشفاق الذي أضاعه الناس. ثم جرى نحو الطفل. وملأ من الدمع كفيه وهو يقول : إن واجبي يحتم عليّ أن أرده إليهم !

توجه إلى صديقه المتفائل. فأعطاه نصيبه من الدمع الغالي وقال له :

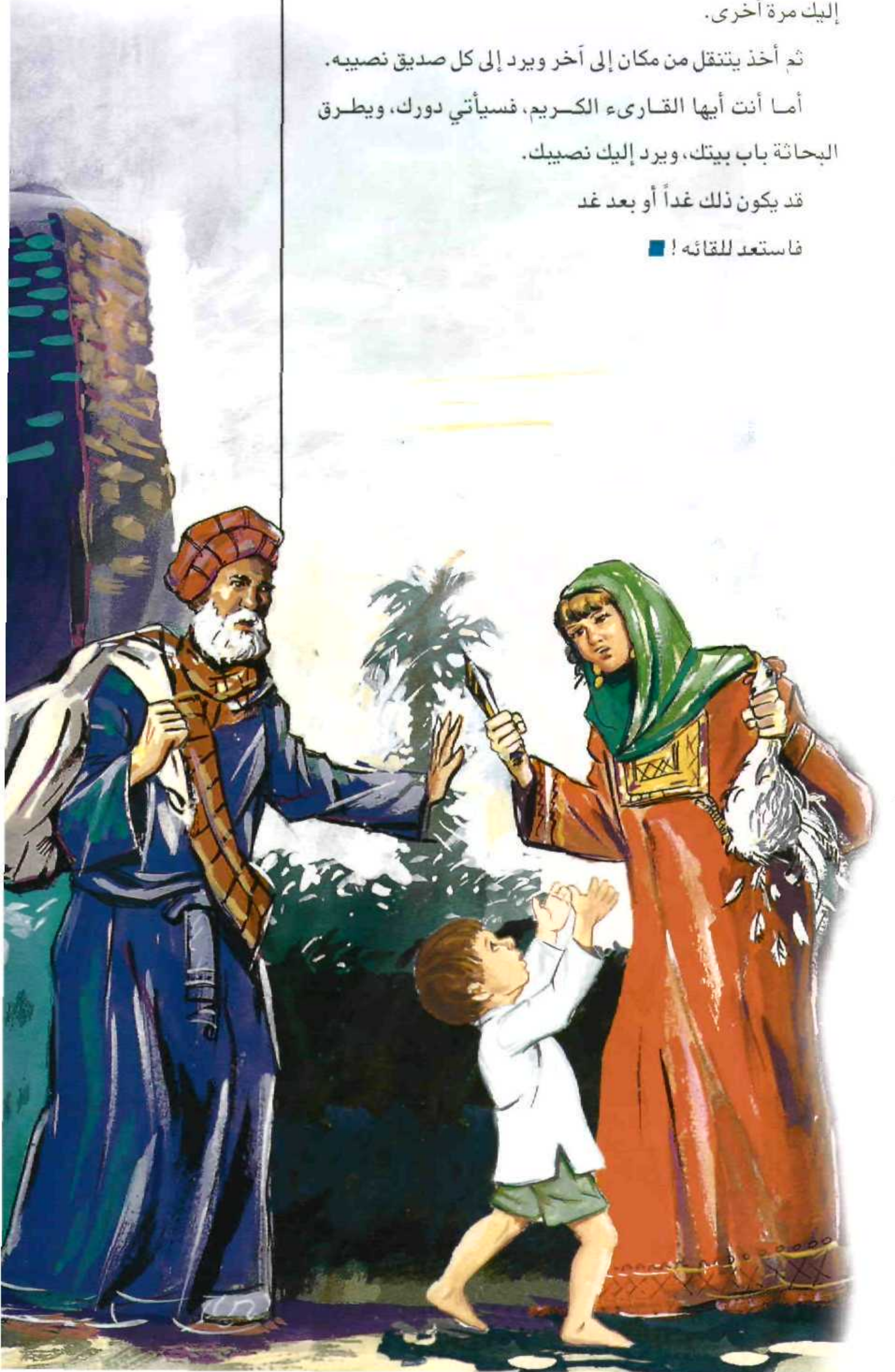
حافظ عليه. أياك أن تضيعه ثانية. فلن تجد من يعيده إليك مرة أخرى.

ثم أخذ يتنقل من مكان إلى آخر ويرد إلى كل صديق نصيبه.

أما أنت أيها القارىء الكريم. فسيأتي دورك. ويطرق البحاثة باب بيتك. ويرد إليك نصيبك.

قد يكون ذلك غداً أو بعد غد

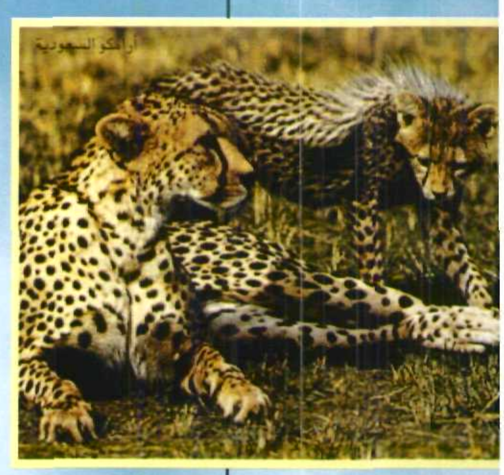
فاستعد للقائه !





الشيتا...
أمهر صيّاد في البراري

بقلم : د. أحمد محمد غندور - جدة



أنثى الشيتا مع صغيرها المميز باللون الرمادي على الرأس والظهر والذيل.

تعد الشيتا Acinonyx Jubatus أحد أمهر وأسرع حيوانات الصيد آكلة اللحوم في البراري. وقد اهتم العلماء بدراسة كل النواحي المتعلقة بها من حيث الشكل العام وأماكن المعيشة، وأسلوب الصيد، والتنظيم الاجتماعي، وعلاقتها بالإنسان.

شكلها .. عيشها :

تتميز الشيتا بجسمها الرشيق إذ إن لها أربعة أرجل طويلة وصدراً طويلاً ضيقاً وعنقاً صغيراً وشعراً مميزاً بنقط سود كبيرة وصغيرة وذيلاً طويلاً ذا حلقات سود وبيض وخصلة بيضاء في النهاية. كما يوجد خطان أسودان يمتدان من العين إلى الفم ولها قوة إبصار حادة لايضاهيها كائن آخر. وتفضل الحياة في الأماكن المكشوفة في السافانا والمناطق شبه الصحراوية في أفريقيا وآسيا. وقد استوطن بعضها الجزيرة العربية لفترة من الزمن إلا أنها انقرضت تماماً من هذه المنطقة ولاتوجد الآن إلا في حدائق الحيوان. وقد أكد العلماء راندول ايوتن، وجورج شالر، وفيليكس رودريجو أن الشيتا تعتمد على الرؤية الواضحة في الأماكن المكشوفة لاكتشاف الفريسة أو العدو ولمناورات الصيد، إلا أنها تفضل الأماكن التي تكثر بها شجيرات الأكاسيا حيث تؤمن لها ورقيات تلك الشجيرات مكاناً مخفياً عن عيون الأعداء.

أسلوب الصيد :

تعد الشيتا أمهر حيوانات الصيد إذ تصل إلى أقصى سرعتها خلال ثوان قليلة (٧٠ ميلاً في الساعة أي حوالي ١١٢ كيلو متراً في الساعة) بالمقارنة مع ٥٠ - ٦٠ ميلاً في الساعة للغزلان و ٥٠ ميلاً للأسود. وبالإضافة إلى سرعتها الفائقة فإن الشيتا تتميز بعضلات قوية ومخالب وأسنان حادة وقوة إبصار وحاسة شم فائقة. وعند الصيد تلجأ الشيتا إلى أماكن مرتفعة لاستكشاف البيئة ومعرفة فرائسها من الغزلان أو الايائل. ويبدأ أسلوب مطاردة الفريسة من التسلل بين الشجيرات دون أن تدرك الفريسة هذا التتبع، وفجأة تبدأ الشيتا في مباغتة الفريسة فتجري نحوها بالسرعة الفائقة



تستكشف الشيتا من مكان مرتفع المنطقة بحثاً عن الفريسة.

المشهورة بها (ولكن لفترة قصيرة ومسافة لا تتعدى ٥٠٠ متر) حيث تقفز على الفريسة وتلجأ إلى الإخلال بتوازنها بضربة سريعة حتى تقع أرضاً ثم تبدأ في الإجهاز على رقبة الفريسة ومنع التنفس عنها وقد تستمر لمدة تصل إلى عشرين دقيقة في هذه القبضة المحكمة حتى تموت الفريسة. وفي العادة تنشط الشيتا صباحاً وتذهب للصيد في الفجر وفي بعض الأحيان ليلاً في ضوء الليالي المقمرة. وتتحاشى الشيتا ارتياد أماكن معيشة أعدائها التقليديين كالأسود والضباع والكلاب الصيادة.

التنظيم الاجتماعي :

تعيش الشيتا في مجموعات منظمة من الجنسين الذكور والإناث وتشترك سوياً في الصيد أو قد تكون المجموعة مكونة من أنثى وحدها وصغارها. وهي في ذلك بين الأسود والنمور إذ إن الأسود تعيش في مجموعات كبيرة تضم كل مجموعة حوالي ٤٠ عنصراً من الذكور والإناث والصغار. أما النمور فتعيش وحدها، ولايجتمع الذكر والأنثى فيها إلا عند فترة الحمل والإرضاع عند الأنثى. ويتم تبادل الألفة بين مجموعات الشتيا بتحسس الوجه باللسان. ويتولى الذكور عادة قيادة المجموعات ورعاية سبل عيشها كما تقوم بحراسة تلك المجموعات. وعندما تضع الإناث الصغار بعد حمل قصير يستمر لمدة ٩٠ إلى ٩٥ يوماً فإنها تترك القطيع وتعيش منفردة مع الصغار وتواجه مصاعب عديدة للحصول على الطعام في أثناء الصيد وحماية الصغار من أي هجوم متوقع من الأعداء. ويكون لون رأس صغار الشيتا وذيولها رمادياً متشابهاً مع البيئة التي تعيش فيها بحيث لايستطيع أي كائن معرفتها وافتراسها. وبعد ستة أسابيع من الاختباء يبدأ الصغار في متابعة الأم. ولعل العلامات السود بين العين والفم والنقط السود على جسم الأم أهم معلم يساعد الصغار على معرفة مكانها من على بعد وهي في معركة الصيد. وما إن ينتهي الصيد، حتى يتجمع الصغار حولها! وعندما يصل عمر صغار الشيتا إلى سبعة شهور يبدأون بتعلم أساليب الصيد وتبدأ الأم في مواجهة الفريسة ثم تترك المهمة للصغار. ويكتمل نمو الصغار بعد إنقضاء ١٣ إلى ١٦ شهراً من أعمارها حيث يتركون الأمهات لينضموا إلى مجموعات أخرى من الشيتا.

وتترك إناث الشيتا عدة علامات يستدل بها الذكور لمعرفة رغبات الإناث في التزاوج. وفي العادة لاتوجد حدود مميزة لقطعان الشيتا إذ يتم التداخل بين مجموعاتها الكثيرة من غير أن يحدث أي صراع بينها على مناطق العيش والتكاثر.

الشيتا والإنسان :

اهتم الإنسان بالصيد منذ القدم، وحين عثر على حيوان الشيتا اعتبره صياداً ماهراً لامثيل له. وقد لجأ قدماء المصريين وسكان الجزيرة العربية وفارس والهند في السابق إلى الإمساك بصغار الشيتا وتدريبها على الصيد بعد استئناسها. وبدأوا في ترويضها إما بالعدو وراءها من فوق ظهور الخيول لإنهاكها ومن ثم إمساكها، أو باستخدام حبال طويلة وشباك متصلة بفريسة حية يتحكم في حركتها الصياد. وما إن تقع الشيتا في الأسر حتى يبادر الصياد بتغطية عينيها، وعندها يستكين الحيوان ويصبح تابعاً للصياد الذي يبدأ في تدريبها على الطاعة ويوفر لها الغذاء. بعدها يبدأ الصياد في إزالة غطاء العينين تدريجياً في الظلام ويتعود الحيوان على صوت الصياد أو المدرب الذي يبدأ في تدريبه على صيد الحيوانات الأخرى. ولاتتزاوج الشيتا في الأسر الأمر الذي يحمل الصيادين على البحث عن قطعان جديدة من الشيتا في البيئة المحيطة. ولعل هذه أحد أهم أسباب انقراض الشيتا إضافة إلى الصيد الجائر الذي يمارسه الإنسان ضد هذا الحيوان طلباً لفرائه الثمين. وبما ان البيئة التي تستوطنها الشيتا هي الأماكن المكشوفة فقد كانت فريسة سهلة للصيادين مما أدى إلى تناقص أعدادها.

بداية الصيد عند الشيتا .. الهرولة السريعة يتبعها الجري السريع.

لقد انقرضت الشيتا تماماً من شبه الجزيرة العربية وأصبحت محصورة في أفريقيا وبعض البلاد الآسيوية. ولعل من المفارقات الطريفة أن يكون الصياد الماهر ذو السرعة الفائقة والتكيف مع البيئة التي يستوطنها فريسة سهلة لصياد أمهر آخر هو الإنسان ■

الأمواج .. مزاج البحر المتقلّب

بقلم المهندس: درويش إبراهيم يوسف - سورية

في صباح الأول من نيسان ١٩٤٦م، تقدم البحر بسرعة باتجاه شواطىء هاواي، غير متوقف كعادته عند حد المد المرتفع، وأخذ يقترب أكثر فأكثر من البر، حاملاً عشرات القوارب والناس والأبنية والأشجار داخل اليابسة بمئات الأمتار. كما كانت عودة المياه إلى البحر عنيفة ومدمرة أيضاً، وسحبت معها العديد من المنازل وخلفت البر وراءها أرضاً جرداء. وقد أوقعت هذه الأمواج ١٥٩ قتيلاً وأضراراً بالممتلكات تقدر بـ ٢٥ مليون دولار.

إن أمواج البحر العنيفة تحدث إما بفعل زلزال تحت البحر أو كمية هائلة من الماء تسوقها رياح عاتية. وفي منتصف تموز الماضي، تسبب زلزال تحت سطح البحر بالقرب من جزيرة أوكوشيري اليابانية في نشوء أمواج زلزالية - تسمى في اليابان تسونامي Tsunami - وصل ارتفاعها في بعض النقاط إلى ثلاثين متراً. وقد دمرت الأمواج العديد من البيوت والمنشآت فوق الجزيرة وقتلت أكثر من ٢٥٠ شخصاً. وسببت أضراراً كبيرة لقرى الصيد على طول سواحل عشر مقاطعات في شمال اليابان، كما ضربت شواطىء الشرق الأقصى الروسي.

وفي سنة ١٧٥٥م أحدث الزلزال الذي أصاب مدينة لشبونة موجة عنيفة بارتفاع ستة أمتار ظلت محافظة على زخمها حتى وصلت إلى جزر الهند الغربية، على بعد خمسة آلاف كيلو متر تقريباً. والأمواج الزلزالية الأكثر تدميراً على الاطلاق، هي التي أنتجها إعصار في خليج البنغال في سنة ١٧٣٧م، والتي قتلت ٣٠٠ ألف شخص، وتعد الأمواج الزلزالية الأكثر تدميراً بين أمواج البحر ولكن هنالك الأمواج الأكثر شيوعاً التي تولدها الريح.

أمواج تولدها الريح :

إن الأمواج التي تضرب بعنف أو تصطدم بهدوء وسكينة بسواحل الكرة الأرضية، تولد من الريح والماء. إذ تدفع عواصف البحر المتباينة القوة أمواجاً ذات قوى متناسبة معها

السفن العملاقة إذا وقعت بين الأمواج العنيفة قد يكون مصيرها أعماق البحر.



إلى الشواطىء القريبة والبعيدة. ويقدم لنا علماء جغرافيا البحار معلومات وافية تسمح لنا برسم صورة لإنطلاق موجة بحرية نموذجية وتلاشيها. حيث تبدأ كما يلي:

يكون البحر هادئاً في وسط المحيط، ثم ينشأ نسيم خفيف فيشكل أخاديد في السطح البلوري. وشيئاً فشيئاً تزداد الريح وتبدأ العاصفة بالتكون، كما تبدأ الرياح في تحديد شكل واتجاه المياه المتعاظمة المتكسرة في سلسلة متتابعة من الخنادق التي تزداد في العمق. وتعمل الرياح في تلك المنخفضات وتبدأ في دفع المياه. وبينما تندفع الرياح بقوة، يوفر المنخفض سطحاً أكبر من الماء كي تقوم الرياح بدفعه. وتتسبب الرياح التي تتحرك فوق قمة المياه في تشكيل دوامة في الجهة التي تهب نحوها. والفراغ الضئيل الذي تنتجه الدوامة يقوم بدفع الموجة إلى الأعلى والأمام بالتعاون مع قوة دفع الريح، وهكذا تولد الموجة.

تمضي آليات حركة الموجة دون ملاحظة إلى حد كبير. فما يبدو لنا ماء يتحرك فوق سطح المحيط ليس هو كذلك على الاطلاق. وفي الحقيقة، ليس هنالك تدفق مهم من الماء البتة. وما يحدث يمكن إيضاحه بسهولة. فحين تولّد الريح جهداً على الماء فإنها تنشطه. وبذلك تنتقل الطاقة إلى جزيئات الماء. وتتحرك كل جزيئة ماء محملة بالطاقة في حركة خفيفة إلى الأعلى والأمام، ثم تسقط وتعود بشكل دائري إلى نفس المكان الذي بدأت معه. ويشبه هذا الأمر الحركة المتموجة التي يراها المرء في حقل القمح عندما تنتج الريح ما يبدو كموجات تنتقل على السطح في حين يرسم كل رأس حقا حركة دائرية بشكل متكرر، وهذا ما يحدث مع جزيئات الماء، حيث تنتقل الطاقة من جزيء إلى آخر، وعندما تدفع الريح الماء إلى أعلى بشكل أسرع، يكبر المدار الذي ترسمه الجزيئات وتزداد سرعتها، وتتابع الموجة، التي شكلتها الريح، رحلتها المنشودة.

إن حركة الموجة هي إلى حد كبير ظاهرة سطحية. فطبقات الماء في الأعلى تتابع الحركة الدائرية المتناغمة، في حين تضعف هذه الحركة مع العمق. فرغم أن الأمواج العاصفة تتلاطم في الأعلى تبقى المياه العميقة غير متأثرة نسبياً.



حطمت الأمواج الهائجة هذه السفينة ثم ألقت بها على الصخور الساحلية.

أبعاد الموجة:

تلعب العديد من العوامل دوراً في تحديد نموذج وشكل الموجة، فهنالك طاقة العاصفة التي تنتج الموجة، وسرعة الريح والمسافة التي تقطعها الموجة وحالة البحر عندما بدأت الموجة وطول المسافة التي تشكلت خلالها العاصفة، كما أن درجة حرارة البحر وملوحته لهما تأثيرهما الخاص.

أما ارتفاع الموجة فإنه يعني المسافة من أدنى نقطة في قاعها إلى أعلى نقطة في قمتها. وفي منتصف المحيط، تنتج الريح أمواجاً يمكن أن يصل ارتفاعها إلى عشرين متراً. ويمكن ان يزداد ارتفاعها عندما تصطدم بموجة أخرى، فتكون الاثنتان رد فعل عنيفاً إحداهما تجاه الأخرى. والموجات الهائلة يمكن أن تصل إلى ارتفاع ٣٥ متراً.

وطول الموجة هو المسافة بين قمتين متتاليتين. ويتفاوت

هذا الطول بين عدة سنتيمترات في الموجات الصغيرة إلى مسافة لاتصدق تصل إلى مئة وخمسين كيلو متراً في حالة بعض الموجات الزلزالية.

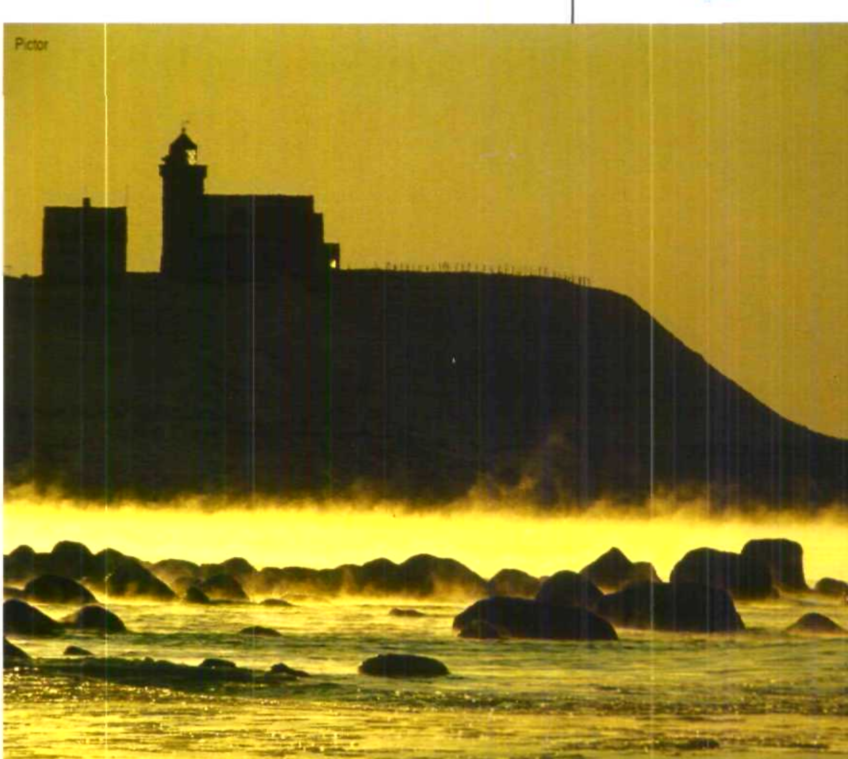
وتعني دورة الموجة الزمن الذي تستغرقه لقطع المسافة بين قمتين متتاليتين. وهنالك أيضاً المسافة التي يجب ان تعمل ضمنها العاصفة كي تتلاطم الأمواج. فالبحيرة الصغيرة لا تشهد أمواجاً مرتفعة بسبب المسافة القصيرة المتاحة أمام العاصفة. ففي البحر المتوسط مثلاً، لا يزيد ارتفاع أمواج العاصفة عن خمسة أمتار، بينما في بحر مفتوح، تنشأ أمواج هائلة الارتفاع.

الموجة تواجه اليابسة:

حين تنتقل الموجة من منطقة العاصفة، تعتريها تغيرات. فيقل ارتفاعها، ويزداد عرضها وتتحول إلى موجة متطاولة. ومع أنها تبدو عديمة الضرر، يمكن للموجة المتطاولة أن تنتقل من ١١ إلى ١٢ ألف كيلو متر دون خسارة ملحوظة في الطاقة. ويمكن أن تصرف كامل قوتها في الخطوط الساحلية التي تصطدم بها.

وعندما تقترب من الشاطىء تتأثر الموجة فجأة بالقاع. فتبدأ الطبقات الأدنى من الماء بالتباطؤ، حيث يعيق القاع الضحل الحركة الدائرية لجزيئات الماء التي ينضغط مدارها ويصبح اهليليجي الشكل.

كثيراً ما تتعرض الفنارات البحرية للصخور الضخمة التي تقذفها الأمواج العاتية.



فالقسم الأدنى من الموجة حين يحتك بالقاع يبدأ في التباطؤ. كما تندفع الموجات المتطاولة التالية، فتضغط على الموجة وتقصر طولها. وهكذا، حين يحاصر القاع الموجة من الأسفل والموجات الأخرى من الجانب، ترتفع إلى الأعلى وتصبح جدرانها أشد انحداراً فتتقدم القمة على القاع المتباطىء حتى تسقط في الخندق المائي متلاشية في الزبد الشديد الاضطراب.

الموجات المتكسرة:

يمكن أن نحدد النقطة التي تتكسر عندها الموجة من خلال المعادلات الرياضية التي تأخذ بعين الاعتبار عوامل عديدة كدرجة الحرارة و درجة الملوحة والسرعة وطول الموجة ودرجة انحدار الشاطىء. ولكن يمكن اعتبار أن الموجة تتكسر في المياه العميقة عندما يصل ارتفاعها إلى سبع طولها، وتتكسر في المياه الضحلة عندما تكون نسبة ارتفاع الموجة إلى العمق حوالي ٣ إلى ٤ . بمعنى آخر فإن الموجة التي يصل ارتفاعها متراً ونصف المتر تتكسر في ماء عمقه متران.

ويلعب نوع الشاطىء دوراً كبيراً في تحديد خصائص الموجة المتكسرة، فالشاطىء المائل، أو شديد الانحدار، يساهم إلى حد كبير في تشكيل الموجة المتكسرة المغمورة، أي الموجة التي تدفع بقوة إلى الأعلى والأمام لمسافة قصيرة. وعندما تهوي إلى الأسفل، تطوق جيباً هوائياً ينفجر عند سقوطها، متلفاً شكل الموجة تماماً.

وتشهد الشواطىء الرملية المتوسطة الانحدار الموجات المتكسرة المنسكبة، حيث تتقدم قمة الموجة على شكل خط من الماء دون أن تفقد شكلها، بالرغم من ذلك فهي تصبح أكثر انخفاضاً بينما تأخذ بالتبدد.

امواج تحت الشاطىء:

على طول العديد من سواحل العالم، تتحول المناطق الأمامية من الشواطىء الرملية إلى مخاضات بسبب عملية الحت ، والحت ظاهرة طبيعية كالمد تماماً. فخلال عواصف الشتاء تحمل الأمواج القوية الرمال بعيداً إلى البحر من أعلى الشاطىء الرملي، كما تقوم أمواج الصيف الألطف برفع الرمل فوق الشاطىء ولكنها لاتملك قوة الانجراف الخلفي كي



المصدات الصخرية الإصطناعية تستطيع أن تعرقل حركة الرمل المتحرك، الذي ينتقل بشكل أو بآخر عن طريق دفق المياه الإرتجاعي.

في السواحل غير المحمية، تضرب الأمواج العاصفة القوية الشواطىء والرمال المتقلبة وتجذبها داخل البحر.

تحمله إلى البحر، وقد قام المهندسون بتحصين الخطوط الساحلية عن طريق بناء جدران على طول الشاطىء. إلا أن هذه الجدران البيتونية مزعجة ولاتنقذ الشاطىء الرملي، وإنما تنقذ المنشآت الواقعة خلفه.

ولذلك يذهب المهندسون إلى البحث عن تقانات جديدة لاحتجاز حبات الرمل الثمينة على الشاطىء لأطول فترة ممكنة. وعلى سبيل المثال صمم مهندس المحيطات ميشيل برونو من معهد ستفنس التقاني في هوبوكن، نيوجرسي، بالتعاون مع الجمعية القومية لمصدات الأمواج أداة جديدة للمحافظة على رمال الشاطىء. وتتألف هذه الأداة من هياكل أسمنتية مثلثة الشكل بوزن عشرين طناً يفترض أنها تمتص طاقة الأمواج تحت السطح، نظراً لأن الأمواج ذات الطاقة الأقل تسبب تآكلاً أقل. وعندما يعود التيار تحت السطحي أدراجه، عند أسفل الشاطىء الرملي، تحجز المثلثات المياه الصاعدة كي تشكل ستارة من الماء تساعد في التقليل من انتقال الرمل بعيداً إلى البحر.

الأمواج والمنائر :

إن البحر الذي يتسربل بجمال منقطع النظير ألهم الشعراء مئات القصائد وأوحى للفنانين بآلاف اللوحات، هذا البحر يمكن أن يطلق أمواجاً هائلة لاتكتفي بحت الشواطىء، بل تتخطاها إلى المنشآت المقامة على اليابسة.

عند منارة تيلاموك روك، على ساحل اوريجن في أمريكا، ارتفعت الأمواج إلى ٦٠ متراً، محطمة لوح الزجاج في حجرة الضوء. وسقطت إحدى الصخور التي تزن ٦٥ كيلو غراماً، فوق سطح منزل حارس المنارة على ارتفاع ستين متراً فوق سطح البحر. وفي الصباح الباكر من ٣ كانون الأول ١٩٩٢م أغرقت الأمواج الهائجة ناقلة النفط اليونانية ايجبان على بعد ٩٠ مترا من منارة رمز لاكورنيا، أقدم منارة عاملة في العالم. وكان قد شيدها قبل ألفي سنة تقريباً الرومان، الذين عرفوا مخاطر هذه المياه الساحلية.

ولفتت الأمواج الهائجة لجزر شتلند انتباه العالم في ٥ كانون الثاني ١٩٩٣م، حين اصطدمت ناقلة النفط برير، التي يبلغ طولها ٢٤٣ متراً، ووزنها ٤٥ ألف طن، بعنف في النقطة الصخرية المتقدمة لاسكتلندا الشمالية. وفي غضون أسبوع حطمت الريح والأمواج السفينة الضخمة إلى أربع قطع. والريح التي أطلقت الأمواج بلغت سرعتها ٣٢٣ كلم/ساعة لم تسجل رسمياً لأن مقياس سرعة الريح الرسمي طار مع الريح في العاصفة نفسها.

الأمواج تحكي قصتها :

عندما تقصد الشاطىء في المرة القادمة حاول أن تراقب الأمواج، تفحصها باعتناء، اصغ إليها فيمكنها أن تعلمك شيئاً. يمكنها أن تخبرك عن الرحلة الطويلة التي قطعتها منذ ولدتها العاصفة بعيداً في وسط البحر. راقبها وهي ترتفع عالياً وتلامس المنحدر الرملي ثم تلقي بنفسها فجأة إلى الأمام والأسفل كما لو أنها تبذل آخر ما تستطيع من جهد. انظر إليها وهي تقضي نحبها في العاصفة المزبدة عند قدميك ثم تتبعها موجة أخرى ■






أخطاء شائعة

بقلم الأستاذ : محمد سيد بركة - مصر

* موصد :

يقولون : الباب موصودٌ.

والصواب : الباب موصدٌ. أي مغلق.

لأن فعله هو أوصد وليس وَصَد الذي يعني : وصد النسّاج يصد وَصْدا : نسج.

وصد النسّاج : أدخل بعض الخيوط في بعض : أدخل اللحمة في السدى . فهو واصد ..

وصد بالمكان : ثبت وأقام فهو واصد .

وجاء في لسان العرب :

فوقع الجبل على باب الكهف فأوصده، أي سدّه، من أوصدت الباب إذا أغلقتــه .. وأوصد القدْر : أطبقها، والاسم منهما جميعاً : الوصاد حكاه «اللحياني» وقوله عز وجل : ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ . وقرىء موصدة بغير همز.

* أجوزتكم :

يقولون للمسافرين احملوا جوازات سفركم معكم.

والصواب : احملوا معكم أجوزتكم ، استناداً إلى قول الأساس : خذ جوازك، وخذوا أجوزتكم، وهو صك المسافر لئلا يُتَعرّض له.

وقول المطرزي : ويجمع الجواز على أجوزة، ثم قول التاج : الجواز «كسحاب» صك المسافر، جمعه أجوزة.

* إذن الدخول :

يقولون عن الموافقة التي تسجلها القنصليات على أجوزة سفر الأجانب لدخول بلادهم «تأشيرة» .

والصواب هو : إذن الدخول، لأن للتأشيرة معنيين كما يقول المعجم الكبير : مـا تعضّ به الجرادة، والملاحظة تدون على هامش كتاب، أو طلب لإيضاح الرأي فيه «محدثة».

* حج البيت الحرام :

يقولون : حج إلى البيت الحرام .

والصواب : حج البيت الحرام، يحجه حجّـاً : قصده.

يقول تعـالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقـرة : ١٥٨). ويقال : رجل حاج، وقوم حجاج وحجيج. والحجيج : جماعة الحاج.

* طالع الكتاب :

يقولون : طالع في الكتاب

والصواب : طالع الكتاب أو اطّلع عليه.

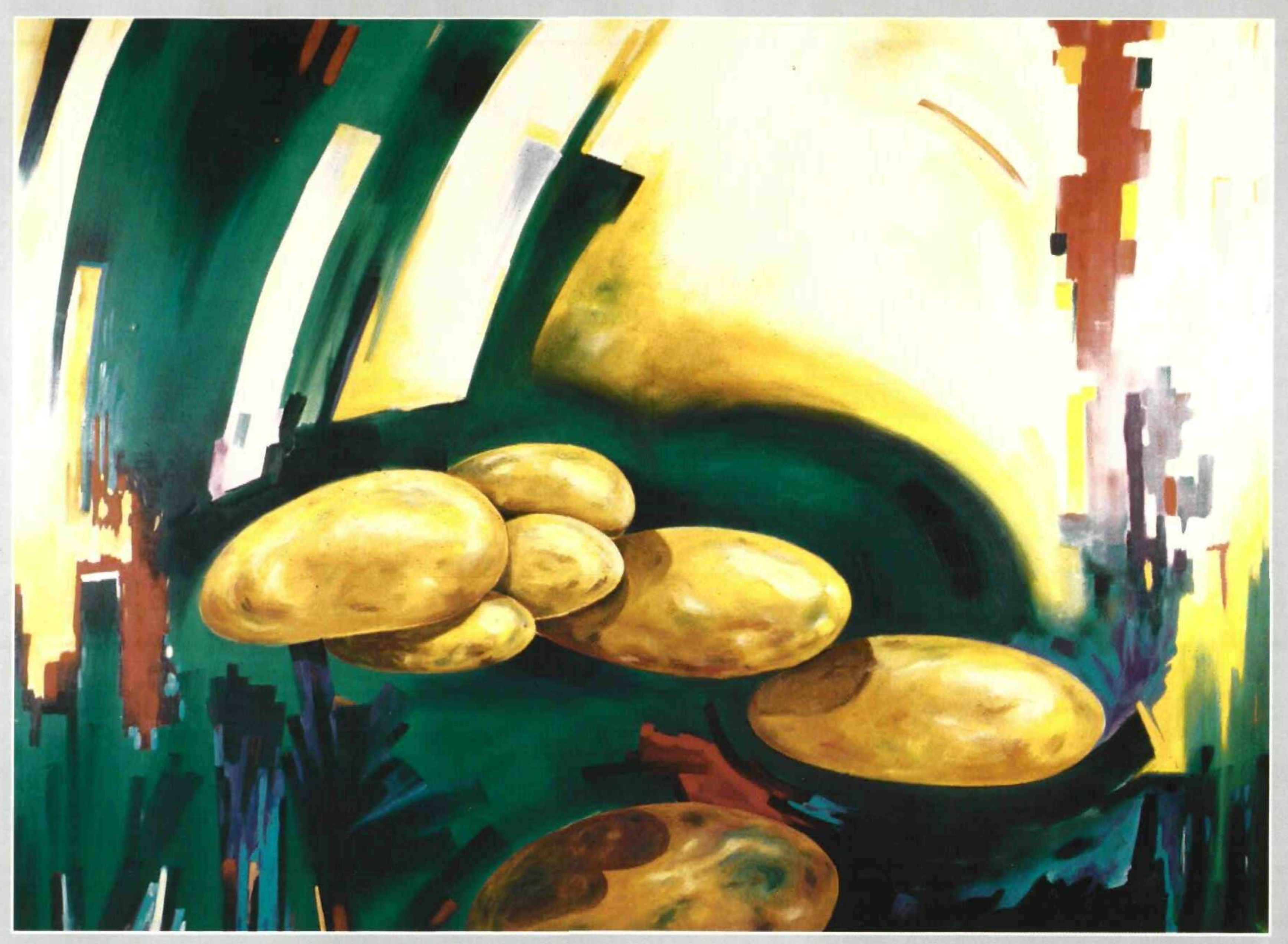
طالع ضيعته : نظرها (مجاز)، وطالعه بحقيقة الأمر : أطلعه عليه.

* أسمع جعجعة ولا أرى طحنا :

يقولون لمن يكثر من الكلام ولايعمل، ويجود بالوعود ولاينجز - أسمع جعجعة ولاأرى طحنا بكسر الطاء لأن المراد ها هنا هو : صوت الرحى وهو يدور، دون أن أرى طحيناً والطحين والطحن بمعنى .. أما الطحن فهو مصدر طحَن الحَب يطحنه طحناً صيّـره دقيقاً . أو طحيناً أو طحناً .. ولهذا فطحنا في المثل طاؤها مكسورة.

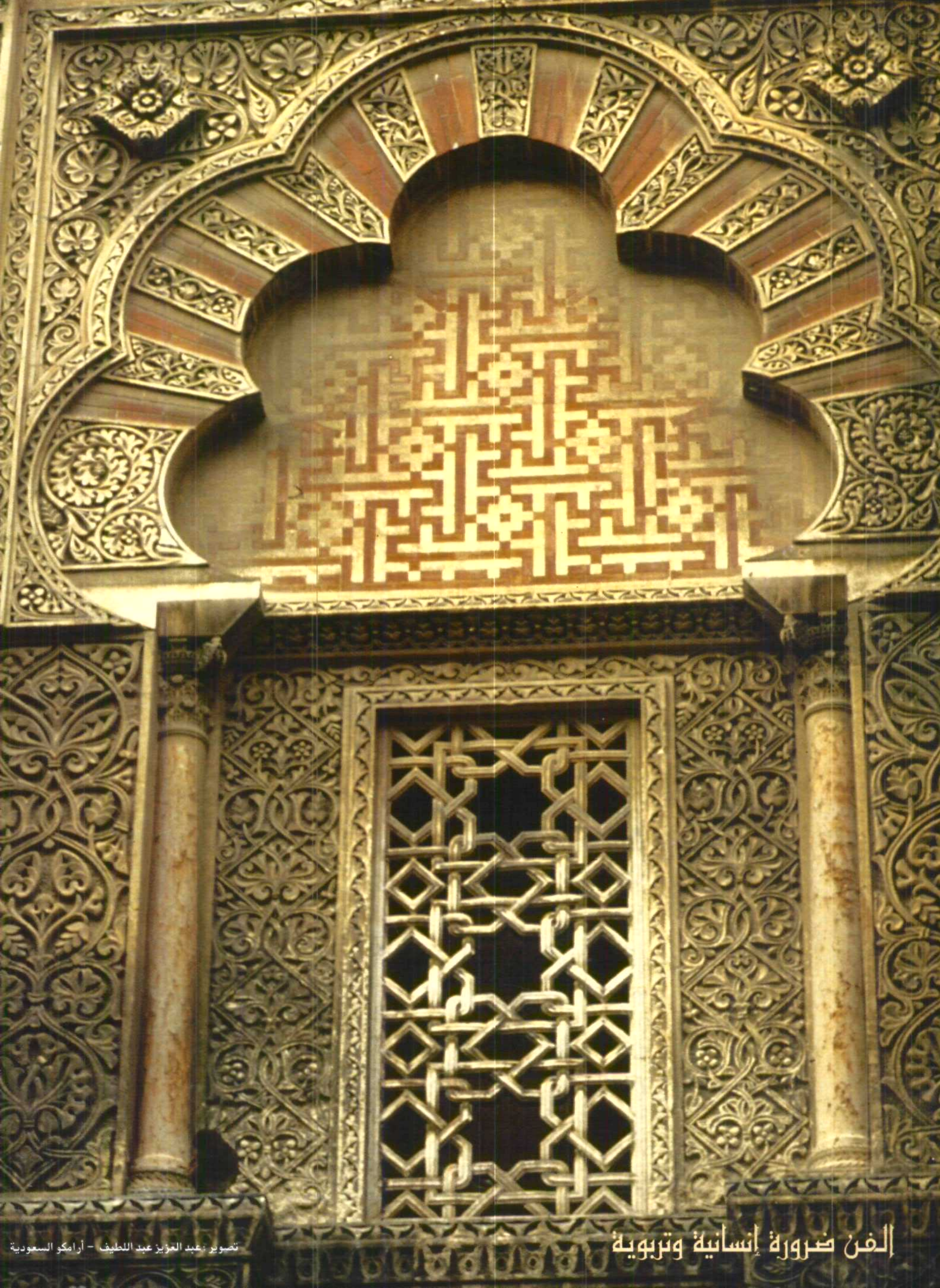
* البهو :

يطلقون على المكان المخصص لاستقبال الضيـوف اسم الصالة. والصواب هو : البهو. وجاء في لسان العـرب : البهو البيت المقدم أمام البيوت. وقوله من الحديث : تنتقل العرب بأبهائها إلى ذي الخَلَصة أي ببيوتها، وهو جمع البهو البيت المعروف.



البقاء لأجل الحياة

للفنان : عبد العظيم محمد الضامن



الفن ضرورة إنسانية وتربوية

تصوير: عبد العزيز عبد اللطيف - أرامكو السعودية